AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

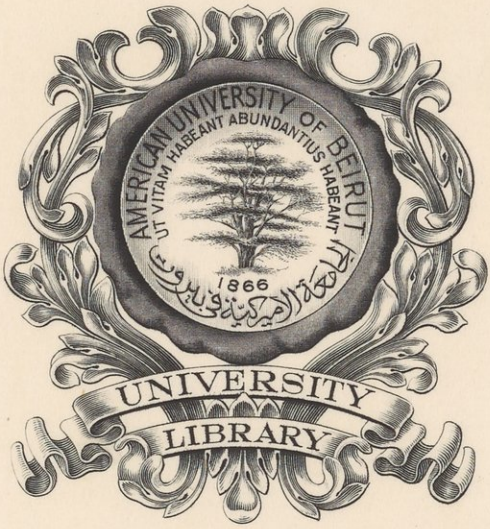

خواطر مصرحة

مقالات فى الادب واللغة والنقد والاجتماع

892.74
A967kA
V.1

بقلم

م . حسن عواد

بجدة (الحجاز)

1
الجزء الاول

طبع على نفقة

المكتبة الحجازية بمكة المكرمة

حقوق الطبع محفوظة

الجزء الاول

58109

المطبعة العربية بمصر

شارع المزين بالموسكى

طبع سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦

الاهـــــداء

الى بلادى :

نفثـــــات حر هذه لكِ من فؤادى يابلادي
أنا لا أقول لك اقرئيـــــها في المجامع والنوادى
وترنمي بنظيمهـــــا ونثيرها ترنيم شادى
لـكن أقول لك اذكرى انى أذبت بهـا فؤادي
كيما ألبى داعيـــــاً في النفس قام بها ينادى

جدة (الحجاز) رأس السنة ١٣٤٥ محمد حسن عواد

كلمة الشباب

لقد طلع الفجر فاستيقظنا ، ونادانا الواجب فلبينا ، وبدأنا نسمع صوتنا لمن أنكرنا ، وصرنا نكتب ونَشعر . نكتب لنعلم كيف نكتب ، ونُشعر لنعرف كيف نَشعر ، وإنا كما قال ولي الدين : لسنا متجاوزين حداً من حدودنا ، ومافينا من يطمح طرفه الى فائدة خاصة ينالها . إن نحن إلا أبناء وطن نريد إصلاحه . نسعى لنقيم العدل فننزع الى مكارم الاخلاق .

مكة المكرمة ١٦ ربيع الاول ١٣٤٥ م . سى الصبانه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الشباب العصرى المتأدب في الحجاز ـ الادب العصرى وأسلوب الشباب ـ الخواطر وملاءمتها لروح الحالة النفسية في الحجاز ـ مناقشة الكاتب ـ أسلوبه الكتابي والشعرى ـ حديث مع القراء

طلب مني الزميل الموقر الاستاذ « محمد سرور الصبان » أن أضع مقدمة لخواطر الكاتب العصرى والشاعر البارع الاديب « حسن عواد » فلم يسعنى الا الاجابة وقد سدت في وجهي ابواب الاعتذار . فتناولت الكتاب وتصفحته على قدر ماسمح الوقت وسنحت الفرصة . فرأيت الاديب ذهب مذاهب شتى في خواطره بين نظرات في الحياة الادبية ودروس في الاجتماع ومواعظ لكبح جماح الامة عن غوايتها . وهو في كلها حر الفكر صريح الرأى شديد اللهجة .

وقبل أن نتكلم فى موضوع الكتاب يحسن بنا أن نتحدث مع القارىء عن نفسية الشباب المتأدب في الحجاز وأسلوبه في أدبه فنقول :

ان كان للشباب الحجازي المتأدب اليوم ميزة أو سيماء خاصة به فليس الا بتدفق الروح الحية فيه وباندفاعه بقوة في طلب الرقي وبثوران نفسه ونشوزه على كل قديم يوقف تياره ، ويقف حائلا دون مرامه — ومامرامه الا توخي الكمال في جميع مظاهره والحرية التي تفسح لفكره مجال الرأى ولنفسه ميدان العمل . فيرى الاشياء كما يجب أن ترى ، ثم ينطق ، ويعمل حسب مارأى .

وان لكثرة مايحتاط به من المشاغب والمخاطر ، والكفاح الشديد في مصاعد غاياته أثراً عظيما في شحوب سحنته ، وتمثل الكآبة والذل والغرابة في كل مايكتبه وينظمه

وان هذه الثورة الفكرية أو الادبية عندى أنجح سعي وأسرع نتيجة لاولئك الذين يريدون أن يحيوا رمام النفوس ، ويحركوا جوامد الافكار ، وينطقوا صوامت الاحساس والوجدان . أوَ لانرى الخامل الكسول اذا ما أتيناه بالنصح الثمين وقابلناه ببالغ اللطف يعنو لامرنا ويصيخ لقولنا ولكن لايلبث بعد رواحنا عنه وتركه ، أن يعود الى كلاله ونومه ، وينسى كل ماوجهناه اليه ؟ واذا ماجبهناه بالشدة والعنف وأريناه الموت الاحمر في الفاظ من نار وشققنا له قبراً في حياته بقوارص الملام ولوافح التأنيب ، يطرد عن أجفانه النعاس الذى يراوده ، ويقوم قيامته التي لاقيام بعدها . ثم اذا أراد الخمول ان يعاوده تذكر ذلك السعير المحرق والجحيم المتلظي . فيمضي غير فاتر ولا وان .

فكذلك الامة التى استلذت الراحة واستطابت الهجوع وتطامنت للذل لا يوقظها ولا يثير كوامن شعورها إلا الصراخ الشديد في وجهها .. بالتقريع والتأنيب حتى تثوب الى الحياة .

لهذه كلها نرى الشباب الحجازى المتأدب اذا كتب للأمة فانما يكتب بأقلام من حديد ، ومداد من الغاز الخانق على صحائف من نار

وهو في أسلوبه بين ذلك الذى يعنيه لفظه قبل معناه ، وبين ذلك الذى يعنيه معناه قبل لفظه ، وبين من يراعى مع جمال المعنى نصاعة المبنى . أما الفريق الاول فذلك الذى تأدب بالأدب القديم فلا يعجبه الا كل ما كان على أصوله وقواعده من مراعاة أنواع البديع ، وتكلف التسجيع . وأما الفريق الثانى فذلك الذي رمق الحياة بعينه فخط بقلمه كل ماشاهده ورآه لا يهمه غير اظهار مارسم فى ضميره من مشاهدها في أي ثوب كان . وأما الفريق الثالث فذلك الذى جمع بين روعة الحياة وجمال الفن فهو المبدع في نظرى . رأى الحياة وعجائبها فملىء جلالا واعتباراً ، وأكسبته المطالعة الادبية ثروة عرف كيف يتصرف بها في تصوير حياته وأدوارها في قوالب محكمة الترصيف ، منسقة النظام . وأكثر أولئك المتأدبين من الفريق الثاني والثالث . وهم الذين نعنيهم بالادباء العصريين ، وأدبهم هو الادب العصرى . وأما الفريق الاول فنفر سوف يأتى زمن تزجى فيه بضاعتهم ويقف سوقهم

وبالجملة : فالباحث في الحالة الادبية بالحجاز اليوم ليقف موقف الباهت حيث يرى أسباب العلم به متقطعة والعناية بالادب ضعيفة . ومع

ذلك فقد نجب فيه أبناء بررة تعشقوا العلم وتصببوا للادب ، وبذلوا جهدهم في سبيل الحصول عليهما ، واستقوا كل ماوجدوه في مدارسهم الابتدائية وتموا دراستهم على تلك الاسفار الثمينة التي تجود بها عليهم أفكار بنى اللغة الاحياء وأدمغة رجالها المتنورين الاحرار . فوصلوا الى هذا الحد الذي صورناه ـ أيها القراء ـ أمامكم، والذي ستجدونه ماثلا في هذا السفر الذى خطه يراع أديبنا المفضال

ولقد يشدهكم ما ترون من هذا التطور الحديث في الزمن القليل الذى لايربو عن عشر سنوات بهذه الديار التي قضى الله عليها بأن تتخبط في ليل جهالتها ، وتعمه في مجاهل غباوتها وخمولها حينا من الدهر ليس بالقصير . ولكن اذا رجعتم الى التاريخ ونقبتم في ثناياه تجدون أنها كانت معهد اللغة ومرباها الرحيب ، ومغنى البلاغة ومرعاها الخصيب . فلا غرابة إذ يقوم أبناؤها اليوم لاعادة فخرها الغابر ومجدها الداثر . ولجدير بهم أن يباروا جيرانهم من أبناء سوريا ومصر الذين ضربوا في الأدب بسهم وافر وقطعوا في العلم المراحل الشاسعة . حتى يعود السيف الى قرابه ويرجع الحق الى نصابه

وانا لنحمد الله على أن قيض بين ظهرانينا ناشئة صالحة ترغب في الحياة لاجل الحياة ، وتسعى بكل ما أوتيت من قوة لتبوء المكانة اللائقة بها بين الامم الحية ـ علما وأدباً وحضارة ـ

كما يسرنا أن يوجد بيننا أمثال أديبنا النابغة الذي هو مقصد موضوعنا ممن ينفث في قلوب الامة روح الحياة والعزم والجد ، ويبعث

في نفوسهم المستضعفة ميت الامل والرجاء . ويخز مشاعرهم بسنان الحرية الغالية رغبة إيقاظهم من غفلتهم واندفاعهم للجهاد الجليل في المعترك البشرى العظيم .

لعمر الحق : أعجبنى الأديب كثيراً في جرأته الأدبية . فلقد مُنِىَ الحجاز بل أبناؤه أحقاباً طويلة بداء الخنوع والمسالمة والسكون على المضض حتي الموت — وانه فى نظرى لصبر ممقوت — ضف على ذلك ما أصابهم من ركود الحركة الفكرية والعلمية والادبية تلك التى تكاد لا تلمس بل لا توجد بينهم . فكأن الله كتب عليهم الجهل والخمول كما ضرب عليهم التطامن والصغار

فلئن عددناه في طليعة أدبائنا فما ذلك ببدع في حقه

فالذى يقرأ أفكاره وآراءه في خواطره هذه سوف يخرج راضياً عنه ، ويثنى على شجاعته وقوة مضائه . فهى وان لم تكن عميقة غير أنها تستهوى القارىء بما فيها من نظرات صائبة محكمة في الصميم ، وحقائق تؤلم الخاملين والمترفين والمنافقين — وبلغة أخرى الجامدين ! ...

فهو اذا أراد أن يشرح حال أمته ويزجرهم عن باطلهم الذى انهمكوا فيه أسمعك مثل مقالته : — أمة مهملة — أو مداعبة مع العلماء — أو ابن الحجاز — أو في آذان المتمرئسين — أو من مشعل النار — تلك التي يرفض لها جبين المرء بالعرق خجلا واستحياء ان كان حجازيا أو يقف موقف العاطف ان كان أجنبياً . والا أسال آماقك وأهاج أشجانك بلغته الشعرية الساحرة المؤلمة إذ يقول : —

ياطائر الشعر ألا موطني يرسف في الآلام مما عني أبناؤه تخرب في مجده ما كان أشقاه !

ياوطني ياوطن الخالدين ويا أباعتق بأيدى البنين وأيها الهاوي الى لحده في ذمة الله !

وإلا حيرك وأدهشك وأوقفك معه متسائلا كما في مقالته — فكرتى تسائلنى !

واذا إراد أن يتكلم معك فى الحياة الادبية في بلادك أتاك بلغة الواجد المتأفف وسرد عليك تلك الحقائق التى ربما تعذره فى حدته إذ ينطق بها. واليك عبارة من مقالته (البلاغة العربية) حين يخاطبها : — « واذا كنت بارزت من سهول الحجاز فسوف لا يجد لك الحجازى طعما ، وسوف لا يفهم لك معنى ، وسوف لا يعرف من أنت ؟ ! ما دامت في الحجاز « كتب البلاغة السقيمة » ، وما بقى النشء المكى يتلقى عن عشرائه فى أيام القيلات ـ فى البصارة ـ « قصائد في الغزل البارد والنسيب الميت لبعض نظامين سخفاء » . واليك مثالا آخر من مقالته « الأدب فى الحجاز » ـ « بعض من شباننا الأدباء ، وبعض من قراء (الكتب القديمة الجامدة) يقرض القطع الشعرية البديعة الناصعة ـ ناصعة والحق يقال ـ ولكن ماذا يضمنها من الافكار ؟

«ينظمها فى الخمريات ...وفي الغزل... وفي المديح .. وفي الحماسة... وفي الحكمة ... وكل هذه من الافكار المائتة التي دفنت مع عصور ... فلا تصلح لنا . أما اذا لم نستطع أن نأتى بفكر جديد ـ فلدينا من الافكار

والمقاصد والاغراض الشعرية ما يكمم أفواهنا عجزاً وقصوراً عن استيعابه «أمامنا الوطن . . . أمامنا العادات والاخلاق . . . أمامنا الحرية بأنواعها . . . أمامنا الشرق الكسول ... أمامنا التغني بامجاد الشرق . . . أمامنا العرب بحالتهم السياسية ... أمامنا (الغرب) باختراعاته ...

إذن فمالنا نرجع الى الوراء حتى في الادب ! »

بهذه اللهجة الشديدة القاسية التي تقطر كلماتها سما زعافا يكتب آراءه ويشرح أفكاره ، ولا يبالى بما يلحقه بعد من لوم اللائمين وتعنت المتعنتين . وانها لجرأة غير معهودة . فحيهلا بالحرية الفكرية !

* * *

وهناك نظرة أخرى نحب أن نناقش الاستاذ فيها وهو تغنيه (بالغرب) وولوعه بذكر عجائبه وتمجيده ، ودعاؤنا الى مضاهاته، مما تكاد مقالاته لا تخلو منه. إنه لحسن في ظاهره ، ولكن رويداً. ما هو الغرب وماعجائبه ! ؟ أليس هو أوربا التي لا تزال تهددنا بأهوالها - لاعجائبها - وتجد في سحق معنويتنا من وجه الكون؟ ! وهل ما أنجبه سوى المدمرات الموبقات ؟ ! وان كان لديه من حسنة فما هي الا نتيجة تحديه لمدنيتنا السالفة . أضعناها فورثها أبناؤه، وأهملناها فاتخذوها حلية لانفسهم يفتخرون بها علينا فواهاً علينا ثم واهاً !

كان الأحرى بالاستاذ أن يرجع بنا الى ما كان فى عهد أجدادنا الغابرين أساتذة العالم ورواده فى ميادين العمل الصحيح ، والمدنية القويمة، ففيه الغناء عن ذكر أى مفخرة يجب أن تحتذى بعده ، ويعجبني ما قاله في

هذا الموضوع أحد كتاب العصر من المسلمين المرحوم الاستاذ «مصطفى بك نجيب» فى مقدمة كتابه «حماة الاسلام» -: (وأن من أبواب التربية دعوة الأمة للنظر في ماضي أمرها وأولية شأنها لتعلم من هى ! عساها تخجل من أن تكون خاتمة سوء لذلك المفتتح الشريف. الى أن قال:- (هذا الباب من أحسن الابواب التى تثقف أفكار الامة وأقرب ما تتربى على خيره طباعها . فان تذكارها بمجدها القديم وتمثيل عزها السالف لها وتشخيص مجدها الشامخ أمام عيونها يدعوها بلاشك للتنافس بخلالها الحميدة السابقة.

أحسن رادع للانسان عن شهواته أن يلتفت وراءه فيرى في أمته وملته العلماء والحكماء والعظماء والحكام والقواد عاشوا لاشغل لهم الا مجداً أقاموه وعزاً أشادوه وشرفا حفظوه . وأكبر مسهل له لاحتماله الضيم والذل جهله بحالة نفسه ونسيانه مجد آبائه وأجداده حتى تسترت عنه كرامة أخلاقهم وتحجب عنه جميل طباعهم ولم يذكره مذكر بسابق أعمالهم الشريفة) اهـ

كما يعجبنى قول أديبنا بذاته من قصيدة في «الوطنية والاجتماع»

ولا تتوانوا ان سمعتم مقالة ... يرددها الشانى وقولا مفندا
يفيض على الاسماع والسمع مطرق ... محاسن أوربا ويطري مرددا
ويوحي الينا ان (للغرب) عزة ... تربع منها هامة المجـــد مقعدا
فردوا صداه واهجروا سوء قوله ... ولا توهمونا ان (للغرب) سؤددا
فما ولد (الغربى) فى الكون راقياً ... ولا خلق (الغربى) في الكون سيدا

وماهو الا الجد من حاك خيطه تناول عن بعد سماكا وفرقدا

مرحى ثم مرحى لهذه الروح الأبية والشهامة العربية !

هذا وان له عذراً في ما أرى فقد يقول كما ان في التفات الأمة الى سالف عزها منبهاً يوقظها كذلك في نظرها الى من حواليها دافع لها على مناغاتهم وتحديهم ، ولكننا لم نرد بمناقشتنا هذه الا إبانة الحقيقة الحقة التي ربما تكون شديدة الوقع على الغرب المتغطرس ، وروح الفطنة للشرق البائس . كما ان فيها أداء الواجب الوطني والقومي المقدس !

وهناك أيضاً روح جديدة بالنسبة الينا نمر عليها في الكتاب مغتبطين ، ألا وهو البحث في حقوق المرأة وواجباتها لدينا ، غير ان الكاتب في موضوعه هذا رأيناه ذهب مذهب التقية . فتمتم وأجمل واقتضب القول اقتضابا كما في مقالته « كيف تكونين » . ولجأ الى ذلك على مانظن خوفاً من اثارة الرأي العام الذي لايحب أن يسمع مثل هذا البحث .

هذه خلاصة آراء الأديب وأفكاره في خواطره ابنّاها ، وأبدينا ملاحظتنا فيها ، وندع الحكم للقارىء ، وعسى أن نكون قد وفقنا للصواب

***

أما أسلوب أديبنا وديباجته في نثره فأسلوب من يفكر فيما يكتب لامن يفكر في كيف يكتب ولذلك نراه في كل كتاباته قليل العناية بتنميق العبارات ونظمها في أسماط الكتابة المؤنقة التي تنتهي مقاطعها برنات موسيقية تبعث الروعة في نفس القاريء - وقد يريد ذلك أحياناً فيخفق فكأن سجيته تأباه وتقلوه - وانه لاكثر تحدياً لكتاب المهجر السوريين

ومن على شاكلتهم من المصريين الذين ينادون بالتجدد في الادب ، وان هذه الخطة وان لم ترق لدى « المحافظين الرجعيين » غير انها جارية على سنن حياتنا الحاضرة التي أصبحت مآزق تزاحمت فيها الاعمال والاشغال فلا يطلب المرء فيها الا كل أسلوب وجيز واضح لا يزهق نفسه ولا يرهق عقله ولا يضيع أوقاته سدى ، وهو الاسلوب التلغرافي الذي أشار اليه وناصره الاديب الكبير (سلامه موسى) .

وأما أسلوبه في شعره فأسلوب الصير في الحاذق المتفنن . وهو في كليهما يؤثر الجزالة مع الوضوح في ألفاظه وتراكيبه على الرقة [1]

هذا ما رأينا أن نتكلم به عن الاستاذ وأدبه وكتابه الحديث ، ونكتبه على حسب ما تلقينا من الحرية الادبية . ولا نعني به الا خدمة الحقيقة والادب ، والله من وراء القصد .

***

ثم لي معكم أيها القراء الحجازيون ! — كلمة أحدثكم بها فعساها أن تحل

---

(١) هذا ما ظهر لنا بعد قراءة كثير من كتابته وشعره . وقد أسعفنا الحظ بعد كتابة المقدمة باطلاعنا على ما كتبه الاستاذ عن نفسه عند ما سأله أحد زملائه بجدة ان يتكلم عن أسلوبه بصراحة ، وها نحن نورده إتماماً للفائدة ولان المرء أدرى بنفسه . قال : — « أوثر الفخامة على الرقة واغلب جانب الفكر على جانب العاطفة ، أرتكز في أدبي البسيط (كتابة وشعراً) على دعائم ثلاث هي أظهر فوارق قلمي الضعيف : — حرية التعبير ، ومحاولة الابداع والتمثيل . أكتب بأسلوب مستقل وهذه صورة من حريتي في التعبير ، وأكتب كرسام لا كباحث وذلك مثال من محاولتي الابداع ، وأستعرض أمامي مظاهر شخصية أحياناً فأنقدها بلا رحمة وهذا نموذج من تمثيلي » . اهـ

المحل اللائق بها لديكم وهي : ـ كثيراً مايوجه « المحافظون الرجعيون من المتدينين !... » الينا ـ معشر الشباب ـ سهام الازدراء والاحتقار ويشددون علينا النكير . يزعمون اننا مرقنا من الدين وتجاوزنا حدود اللياقة الادبية معهم ، واننا ندعو الناس الى تحطيمها والى حربهم ظلماً وعدواناً . ألا انهم لفي خطل عظيم . ومعاذ الله أن نكون كذلك

نحن نصرخ بملء فينا ونشهد الله على مانقوله بأننا من أشد أنصار المتمسكين بآداب الشريعة المقدسة ومن أشد المنكرين على أولئك الذين أضلتهم الاهواء والشهوات فتدهوروا في بؤرة الفسوق والمنكرات . نحن لا نريد إلا إصلاحاً دينياً وأدبياً يعم الوطن ويشمل الامة . نحن لا نريد الا حياة حرة . يمكن أن نتفاهم فنزيل الاوضار التي تكتنفنا وتوشك تقضي علينا .

نحن نريد أن يسود العلم والوداد والشعور السامي كل طبقاتنا حتى نستطيع أن نشيد المجد الذي نرمقه وندرك المرمى الذي نطمح اليه . فليتق الله المهوشون المفسدون . وليثقوا بأنا لانهين ـ ان شاء الله ـ في جهادنا وسوف نواصل السير رغم تذامرهم وعلى الله السداد وهو نعم النصير . وان نرج فلا نرجو منه الا أن يكثر بيننا من أمثال أديبنا الحر لتصل أمتنا والوطن بفضل آرائهم وجهودهم الى أقصى رتب السعادة ويسكننا الأوج انه سميع مجيب .

٢٧ صفر ١٣٤٥ هـ

عبد الوهاب آشي

تتويج الكتاب

﴿يا أيها الذين آمنوا . كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

« معنى الصراحة من القرآن الكريم »

* * *

ليست تقتصر مهمة الأدب على نقد الحياة فقط . وانما اكبر مهامه والمحور الذى يدور عليه هو نقد الحياة ، وذلك لان أحرى الموضوعات وأجدرها بدرس الانسان هو الانسان نفسه

سلامة موسى

من نافذة الخيال

جاءت هزازة يوماً ـ يوماً قريباً ـ لايقاظ فكرتى ، هزازة الساحرة المبدعة . هزازة المبتكرة المولدة . هزازة الجنية رسولة الخير والشر والباطل والحق، هزازة ملاك الوحي والشعر والالهام. رأيت في إحدى يديها مشعلا ناريا ، وسيفاً مسلولا يبرق ويضىء ولكنه يرسل شرراً . وفي الاخرى رأيت صفحة حلوي ، وكوبا من الماء العذب الفرات . وإذ قدمت هزازة نحوى هديتها مددت يدي وتناولت الهدية الاولى مؤثراً مشعل النار لأننا في ظلمات ، وسيف الحرب لاننا فى بدء تكوين ثورة فكرية – هي ثورة الجديد على القديم . والحرية على التقليد — وبالرغم من هذا فالرأى العام في بنى قومى لا يريد الاحلوى !

وبالرغم من ارادة قومي تجرأت وأخذت ما أخذت وهكذا بعد أن قبلت هدية الجنية الساحرة آثرت (الصراحة) فى القول والاستقلال في الفكر حين قمت لا كتب خواطرى لاقدمها بين أيدى أبناء أمتى .

جدة

م . حسن عواد

مداعبة مع العلماء

في لغتنا — نحن المسلمين — نستعمل كلمة « عالم » مريدين بها حضراتكم أنتم أيها السادة المشتغلون بالدين في عصرنا وبصورة خاصة في بلادنا الحجاز — ولكني أقول لكم الحقيقة وان كانت ستحدث لحضراتكم مرضا خفيفا نسميه نحن « وخز الضمير »

لماذا . هل تدرون ؟ لأني سأكون صريحاً في خواطري هذه وقد سميتها «خواطر مصرحة» وعن اذنكم فقد لا تعجبكم هذه التسمية وقد تغضب السيد سيبويه لانه لا يسمح في مذهبه الا أن يقال — خواطر مصرح بها — أو مصرح بما فيها . ولكن لا بأس، ليغضب السيد سيبويه وليرض الذوق العربي الفصيح

* * *

الحقيقة المؤلمة التي وعدتكم بها يا سادتي هي أن في اطلاق كلمة — عالم — على أحدكم تسامح كبير في الاستعمال لانه وان كانت العلوم الدينية في الواقع علوم ، بل من أجل العلوم وأعظمها خطراً ولكن كلمة عالم كبيرة على حضراتكم ، لا تستعجلوا ولا تهيئوا لمحسوبكم الاشوان والعكاكيز . إن مساويكم المباركة كافية للضرب اذا لزم الأمر ولكن لا . اصبروا اصبروا قليلا . فسأفصل لكم بعض الحقيقة اذا لم يكن كلها

ليس فيكم يا سادتي — اللهم الا القليل — من رجل يعرف كيف يستعمل هذا العلم ـ أعني علم الدين ـ متصرفا فيه بقوة فكره مستخدما دماغه في الفهم والاستنتاج . وانما أنتم تعتمدون دائما على فهوم أشياخكم وقد تجيء هذه عقيمة خاطئة . وقد تكون عارية عن الحقيقة بالكلية

مثال ذلك اذا وجهنا سؤالا بسيطاً الى حضراتكم عن فائدة الصيام وسبب مشروعيته في الدين الاسلامي مثلا فلا أظنكم إلا قائلين : أمر تعبدي لحكمة لا يعلمها الا الله . وبهذا تكذبون على الله وتعطلون روح الشرع الاسلامي من حيث لا تشعرون ولكم العذر نوعاً من ذلك لان هذا هو نفس الجواب الذي سمعتموه من اشياخكم واساتذتكم في الدين

ولكن أفكاركم ؟؟

أين أفكاركم وعقولكم

أليست موجودة في رؤوسكم

لماذا خلقت رؤوسكم

هل خلقت لتملأوها تبغاً ونشوقاً ، وتضعوا عليها عمائم عظيمة وقلنسوات خيزرانية ؟ كلا ... لا اظنها خلقت لهذه الاشياء

***

واسخف من هذا الجواب ماسمعته من بعضكم وهو جواب يضحك الثكلى فاسمعوا . اسمعوا وعوا . واذا وعيتم هذا الجواب فانتفعوا .. قال الشيخ غفر الله له وادام به النفع : « ان فائدة الصيام هي ان الملائكة الذين يحملون العرش ثمانية ، والصحابة المبشرين بالجنة عشرة

والملائكة المرأسين عشرة فالجملة ثمانية وعشرون وقد فرض الله علينا صوم ثلاثين يوما لنحوز فضل هؤلاء بمطابقة العدد . وقد اكرمنا الله بزيادة يومين لتكملة العدد . » فهل سمعتم ياسادتى كلاما اسخف من هذا

ان مصيبة هذا الجواب من جهتين : أولا لسخافة هذه الفكرة . وثانيا عدم اصابة القصد

فقد سألت الشيخ عن حكمة مشروعية الصيام فأجاب عن حكمة عدد أيام الصوم كمن يسأل . (من أبوك) : فيجيب . « أنا ابن أخت شعيب » .

عقولكم

أين عقولكم يا سادتي العظام ؟

لا أظن أنكم — إلا القليل منكم — تعتقونها يوما من جمودها لتبحثوا بها فى أسرار الشريعة الاسلامية بحثا حراً بدون أن تقيدوا أنفسكم بأقوال الاشياخ

أنتم — الا القليل — أيها العلماء في الحجاز . بلداء الافكار سخفاء العقول قاصرون فى الافهام ، واذا عددتم هذه الصراحة منى سوء أدب فأنتم حمقى جاهلون بنفوسكم غير عارفين لمقاديركم . وسطوع الادلة على ذلك أكبر مصدق لى ...

أما العلماء في الغرب - وما أدراك ما علماء الغرب — عقول باحثة وأفكار متدفقة واحتياط في نقل الحقائق وفهمها . وضبط لمسائل العلوم واتقان في تأديتها . الى آخر ما هنالك من الآثار النافعة

يؤلف بعض علمائنا كتابا في النحو أو في الصرف أو في المنطق أو في الفقه أو في العقائد . فاذا جئت أنا مثلا لأقرأه وكنت ممن وهبوا موهبة الذوق والتمييز وجدته مضطربا مشوشاً محشواً بمسائل ينقض بعضها بعضا ويعمى أولها عن فهم آخرها ويكذب آخرها أولها ويلعن سابقها لاحقها ، ظلمات بعضها فوق بعض . لا يوجد فيها مجال للتفكير ولا بصيص من العقل كأنما نقلها مؤلفها أو جامعها أو سارقها . لا أدرى ماذا . نقلا بدون أن يعمل فيها عقله وان كان عقله كما وصفت . مثل هذه الكتب تقع في أيدي الطلبة — لا سيما طلبة المدارس — أو الراغبين في تحصيل العلوم ليستفيدوا من جواهرها . أليس كذلك . ولكن لا تمضى مدة وجيزة ريثما يتصفح الطالب الكتاب ويسمع ما فيه حتى يلعن العلم والعلماء . وحتي يضرب على ذهنه بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

***

وأخيراً . أقدم لحضراتكم نصيحة ثمينة كدليل على حسن نيتى لكم واخلاصى لمقاماتكم وهي أن تتعلموا أنتم قبل أن تعلموا الناس وقبل أن تؤلفوا كتبكم النحوية والصرفية والفقهية والمنطقية الخ

ادرسوا الاسلام والنصرانية والاسلام والرد على منتقديه . للامام محمد عبده — والاسلام والمدنية الحديثة للاستاذ فريد وجدي — وزاد المعاد للامام ابن القيم — والمدخل لابن الحاج — والأم للامام الشافعى — حرروا أفكاركم تحريراً أوليا بدرس هذه الكتب النافعة

وأستسمح خواطركم أيها السادة . .

البلاغة العربية

تعلمت دروساً بسيطة جداً من الانشاء في ابان صغري مع ما كنت أتعلمه في المدرسة من بقية الدروس الأخرى . نعم أقول بسيطة بكل مافي معنى كلمة البساطة من معنى لانها ما كانت تسمح لي تلك الدروس باعطاء أفكار مستقلة في الادب أو في السياسة أو في الاجتماع . (نتيجة الانشاء) . ولا كانت تسمح لي بتكوين فكرة بسيطة نظرية أو عملية أيضاً في هذه الشؤون لذلك لم أكن أعرف من خلالها شيئاً يدعى البلاغة العربية ـ وهذا طبيعي ومعقول

وفي سنة ١٣٣٣ عند مابدأت الطفولة تتحلل مني وتتقوض أطنابها ليحل مكانها الشباب أو الفتوة أو المراهقة . (أحيل القارىء على اللغة) . أخذت أدرس دروس البلاغة في المدرسة وها أنا من ابان تلك السنة الى الآن لاأزال أبحث عن سر البلاغة العربية وكنهها وأتلمسها في كل مكان وبين كل سفر وفي شقي كل قلم بغية أن أعثر بها

تلمستها في جواهر الأدب فرأيتها تبعد ٦٥٤٣٢١ مرحلة

تلمستها في مولد البرزنجي فرأيتها تتلكأ متسكعة متعثرة

تلمستها في البردة والهمزية فرأيتها تمشي على استحياء

تلمستها في كتب الاشياخ فأجابتني الكتب أن ليست هنا

تلمستها في المقامات فاذا هي لحوم ناضجة ولكنها من غير مأكول اللحم

تلمستها في كتب السعد والجرجانى فرأيتها تحشرج على فراش الموت
تلمستها في شعر المولدين فاذا هى عجوز شمطاء في زى حسناء
تلمستها في المعلقات فاذا هي منجم يحوى ذهباً في جنادل وصخور
تلمستها فى الجرائد فاذا هي خروق باليـة وأديم ممزق - واخيراً تركت البحث ... ثم عدت فوجدتها

وجدتها رعداً يقصف من نبرات القرآن فوقفت خاشعا امام معبدها
وجدتها ألقا في مقالات بعض كتاب سوريا فهززت يدى وصافحتها
وجدتها ورداً ذابلا في مقالات بعض كتاب مصر فهتفت لها مبتسما
وجدتها في شعر المتنبى ينبوعا يحاول الانفجار فلايستطيع
وجدتها في نظرات المنفلوطي عروسا تزف ولكن بلاطبول
وجدتها في الريحانيات موجة تصعد وتهبط
وجدتها فى كثير من شعر وكتابة مسيحيي لبنان تسلس عن قيادها
ثم وجدتها في مترجمات هيجو وموليير وشكسبير وبايرون فقلت واها لمجد شعراء العرب !

***

هناك البلاغة العربية فانشدوها . نعم هناك بين ثنايا تلك الاوراق النقية الناصعة . على ضفاف هاتيك الاسفار الثمينة المندثرة بروعة العظمة ونضرة الجمال . وفي خلال تلك الالفاظ الذهبيـة ، وعلى جانبى تلك الاسلاك المنسقة تنسيقا هو ارقى ماوصلت اليه الهنـدسة الفكرية قديما وحديثا

هناك البلاغة العربية فانشدوها

***

فيا ايتها البلاغة العربية ؟

ما أسمى ذوقك حينما اخترت مقراً « للموتور » الكهربائى الذى يفيض عليك نوره وناره تلك الادمغة العربية المطربشة والمبرنطة ذوات فكرة التجدد العصرى والذكاء النجيب وضربت صفحا بل ربأت بنفسك ان تتدفقي من رؤوس غلاظ أفسدها ثقل العمائم وطول اللحى

***

واذا كنت برزت من سهول الحجاز . فسوف لايجد لك الحجازي طعما ، وسوف لايفهم لك معنى ، وسوف لايعرف من أنت

مادامت في الحجاز كتب البلاغة السقيمة ومابقي النشء المكى يتلقى عن عشرائه في أيام « القيلات في البصارة » قصائد في الغزل البارد والنسيب الميت لبعض نظامين سخفاء

***

ويا ايتها الناشئة الحجازية المتعلمة :

حطموا عن خيالاتكم هياكل الاجلال لهذه الاسماء . انما عظموها باعتبارهم كشعراء او كبلغاء ، واحرقوا تلك الاوراق ، وامحوا تلك القصائد وهاتيك المقطعات المأخوذة من تراثهم ، وطهروا افكاركم الصغيرة الحرة من تلك الامراض والسموم وتلك الجراثيم والميكروبات والاوبئة

***

ثم الا يمكن ولو موقتا ان تستبدلوا بقصائد الاشرم قصائد عمر عرب وبمقطعات براده وعبدالحق مقالات سعيدالعمودى وجميل حسن ؟

قد لايمكن هذا ولايجوز ولايصح ولايستحب بل يكره « تنزيها وتحريما » عند ساداتنا . الكبار . الكبار . الكبار . ولكن لدينا جواب سديد نكمم به افواههم ان جاؤا ينطقون . نخرسهم بالكلمة التي علمها الله للنبي صلى الله عليه وسلم ان يخرس بها افواه مكابرى قريش « لكم دينكم ولى دين »

وانى بدورى اقول لهؤلاء :

لكم دينكم ولى دين .

أيها المتشاعرون

اطرحوا سويعة تلك الاقلام ؟

واطرحوا سويعة تلك الصحائف ؟

وتعالوا معى .

تعالوا معي . لنتمشى على بر الحقيقة وفي وادى الصراحة العميق وتحت أشعة الشمس المحرقة ؟ التي لا يبقى هناك تحتها شيء من الصحائف الفارغة والاقلام العوجاء

تعالوا معى ؟

ها قد وصلنا الى محل المذاكرة وعلى بساط البحث فلنتفاهم يا اخوتى لنتفاهم يا اعزائى المغرورين قبل أن يأتى يوم ناصع في عالم الأدب أنصع من هذا بكثير . تشع فيه شمس أكبر من هاته الشمس فنحاول . (وبالأحرى تحاولون) التفاهم فلا نستطيع . لنتفاهم

الشعر جميل ومحبوب عند كل الأنفس الناطقة ؟ أو الشعر قوة سحرية تدفع بالحياة الى الامام ؟ والشعر فجر بثق من عالم الحقيقة فيضيء ظلام الحياة الدامس ؟

والشعر يد خفية تمر على قلوب مكلومة فتنزع منها الآلام ؟

قد تقولون هذا ، أو تقوله السنة أحوالكم إن كنتم لا تقولونه . «لانى أعرف أن ليس فيكم قوة الناطقية الى هذا الحد» . وانا أسلم معكم

هذه المقدمات والنتائج المارة ولكني أقول لكم : نعم الشعر جميل ولكن أين الشعر الذى تنظمونه أو ترووونه ؟

هل اتلمسه في تخميس» تتيه علينا مذ رزقت ملاحة» الخ

أم تشطير

اذا كان لي اهلان أهل ترحلوا .

أم في مشجر

على جيد هذا الظبي فلينظم الدر

ام في تخميس آخر مطلعه

انيرى مكان البدر ان فقد البدر

أم في مدحة انشدت للحسين في يوم عيد مطلعها

سل ما لسلمي بسوق البخس تشريني

اواه . كل هذه ايها المتشاعرون صديد فكرى وقيوء طراشي باللغة التي تفهمونها

لو أنفق العمر أجمعه في مثلها لما وصل الناظم الى الشعر . الشعر جميل . اما امثال هذا فلا . وان كنتم تفهمون من كلمة الشعر . انها تعني امثال هذه المقيئات فاعلموا انكم على بعد ٩٨٧٠٠٠ كيلومتر من الشعر

ما الشعر الاّ روح متمردة شيطانية عاتية تأبى ان تسكن امثال هذه الخرائب البالية المتحطمة

الشعر روح سام يهبط من السماء فان وجد في الارض مستقرات واكسية من الالفاظ تليق بعظمته وسموه ، والاّ عاد ادراجه طائراً الى

حيث مقر الاملاك . او مباءة الشياطين

هكذا الشعر . الا تخافون منه . وعهدى بكم تخافون المردة والبعابع والجان ؟؟

الشعر قوة سحرية كما قلت لكم آنفا، والسحرة لا تعجبهم المبالغات والأكاذيب لانها ضعف، والسحرة دائما جبابرة اقوياء

والشعر فجر والفجر يبدد بأشعته الظلمات اذا اتى

والشعر يد تمسح القلوب الدامية! وماتسمونه انتم شعراً دماء وقيوء تحتاج الى مسح من عالم الوجود

***

ايها المتشاعرون !

اظننا قد بلغنا الغاية من رحلتنا هذه القصيرة في بر الحقيقة ومنتزهاتها وتحت اشعة الشمس شمس النقد المحرقة

فتعالوا معى لنرجع الى حيث كنا ابتدأنا مسيرنا لأذكركم بكلمتى الأولى .

اطرحوا سويعة تلك الاقلام ؟

واطرحوا سويعة تلك الصحائف ؟

وازيدكم كلمة اخرى والتمس ان لا تنسوها مدى كل حياتكم الشعرية وتذكروها كلما جئتم لتحملوا قلماً وصحيفة (ان كان فيكم بقية رغبة بعد من حمل الاقلام والصحائف) وهي :

ليس الشعر الفاظاً ومعانى فقط وإنما الشعر أمر آخر وراء الالفاظ والمعانى ، وفوق الافكار والتعابير . .

أمة مهملة

كلمة قالها « في الحجاز » ـ ويعنى بها الأمة الحجازية ـ شاب أسود . نعم أسود البشرة . سوداني الجنس . من القارة السوداء . من القارة المظلمة . من أفريقيا . من بلادالتوحش . من السودان . ولكنه مطربش ويرتدى حلة أفرنكية ـ ريدنكوت ـ أيضاً ، وهنا السر

الشاب كما ذكرت آنفا . ولكنه مترب وكفى . انه من الامةالتي رباها ومدنها الانكليز

***

آه نعم وأبيك أيها الشاب الاسود . انها أمة مهملة . تلك هي الامة الحجازية التى عنيتها ، وكم هي مهملة الى حد كبير ولا اهمال المتوحشين « أمة مهملة » كلمة آلمتني وأيم الحق ولكنها على ايلامها هى الحق ـ وهى الحق كله ـ والحق مؤلم دائما

اذا أخذت أنظر وأعتبر يسبقنى هذا الخاطر فيصرخ بى : من هي الامة الحجازية التى تنتسب لها ! أليست خليطا من أجناس عديدة شتى ترجع أصولها الى الهندى والمصرى والمغربي والجاوى والبخاري والتركى والافغانى . وفيها أيضا من يرجع الي الاصل السودانى أصل الاخ .

بلي . حقيقة هذا الخاطر . لاريب هى مجموعة أجناس متكونة فى أمة واحدة وبعبارة أخرى مزيج متكون من أصول وعناصر متحدرة من غرب آسيا وشمال أفريقيا . لاتناسب بينها في شيء سوى الدين ولكن

لايجب أن تبقى هذه الفكرة حائلا بين الامة الحجازية وبين وحدتها القومية المطلوبة التى أصبحت اليوم أنشودة الامم الناهضة جمعاء تسكر بخمرتها وتسعى الى تحقيقها

الأمة الحجازية ، أو الحجازيون ، أمة واحدة تربطها روابط متينة متعددة. تربطها الافكار، يربطها الدين، يربطها الوطن، تربطها السياسة. أفلا يجب أن تكون ـ كما هى الحقيقة ـ أمة واحدة من كل الوجوه. وعلى هذا الحساب يجب أن تتحمل كل مسئولية تتوجه الى الحجاز والحجازيين وأن تكون محافظة على وطنيتها متمسكة بحجازيتها مهما تقلبت بها الأحوال. واذا قيل انها أمة مهملة ـ والحق يقال ـ فعليها أن تقبل هذه الكلمة ولو بمرارة وألم وأن تفتح أعينها اذا كانت لاتريد أن تكون مهملة

***

مثال بسيط من اهمالها : في موسم الحج . وما أدراك ما موسم الحج في الحجاز . يجمع كل حجازى «تقريبا» نحو مائتين جنيه انكليزي في مدة شهر واحد فقط « بالحساب الميت كما يقولون » ولكن هل تدري كيف يستعمل هؤلاء تلك المقادير المتجمعة من الذهب وأين يصرفونها ؟ يحزنني وأيم الله ان اتكلم الحقيقة المؤلمة، ولكن لا بأس . اذا لم اتكلم بها انا فيتكلم بها غيرى . وهناك الضربة القاضية اذا كان الناقد اجنبيا ألا نحس فلنصف حسابنا بأنفسنا قبل ان نقع تحت رحمة الغير . انه لاتمضى على الفرد الذي يجمع هذا المبلغ نحو ستة اشهر فقط من السنة القادمة إلا وقد اصبح اثراً بعد عين .

أتدرى أين يذهب ؟

يذهب ثلثه في زيارة «ميمونة . والجعرانة» ضحية مايقام هناك من حفلات تجمع لذيذ الأطعمة وجيد المشروبات . وثلثه الثاني في ساحة الشهداء بين اجور الدواب (الحمير) التي تبلغ اجرة الواحدة منها في الليلة قطعة ذهبية . وثلثه الثالث مابين ولدان للتمتع وخمور فاخرة للاصطباح والاغتباق وألبسة للزينة والرفاهية مابين «لاس» و«يرشوان» وسليمى الخ.

أما مصرف العائلة الضرورى ونفقات المأكل والمسكن فهل تدرى من أين تجىء ؟

تجيء هذه من الاقتراض إحالة على موسم العام القابل . فاذا جاء موسم العام القابل ذهب نصفه في الأمور الموضحة آنفا ونصفه لاصحاب الدين . وتحمل صاحبنا دينا جديداً للمصرف الضرورى وهكذا دواليك .

كأننا أخذنا وثيقة رسمية عليها شهادة الروح الأمين وميكائيل واسرافيل . وضمانة الرسل والانبياء . اننا « مطوفون الى يوم الساعة »

هل لنا معشر الحجازيين أن نحسب معدل الوارد السنوى الى الحجاز .

اذا قدرنا عدد الحجاج بمائة الف نفس يقصدون مكة سنويا للحج والزيارة ومع كل فرد منهم من النقود ٦٠ جنيه فقط « بحساب المعادلة » ثم لاحظنا ان الحاج يصرف هذا المبلغ كله في الحجاز وجدنا ان مايدخل سنويا يعادل ٦ ملايين جنيه . ستة ملايين من الجنيهات سنويا خلاف واردات الحجاز الاخرى مبلغ لايستهان به بالنظر الى الحجاز. فكان يمكن

مع تكرار دخول المبلغ - بدلا من صرفه في الشهوات التافهة - ان نصنع منه مايأتى :

أولا - نؤسس ثلاث شركات كبرى : واحدة للماء تقوم بوضع شرايين « ماسورات » عظمى توصل الماء الى جدة وغيرها من مدن الحجاز القليلة الماء - لسقي الارض والانسان والحيوان — وبسقيا الارض يصبح الحجاز قطراً زراعيا ثم لا تسل عما يفيضه من الخيرات والبركات العظام على بنيه وقاطنيه

وشركة للتنوير تجلب مايلزم من الآلات والبطاريات الكهربائية وتمد الاسلاك في كل شارع وكل بيت وكل حانوت « دكان » وكل مدرسة «وبالطبع تكون إذ ذاك المدارس ليلية» ويكون زمام هاتين الشركتين بيد الحكومة الحجازية فتضيف دخلا جديداً علاوة على دخل الجمارك والبريد والبرق

وشركة تجارية لتوريد عموم مايلزم الحجاز من أطعمة وألبسة وعطورات ووسائل الغسل والطبخ والخياطة والكتابة والطباعة والزراعة وأدوات النجارة والبناء وغيرها وتكون هذه الشركة وطنية محضة زمامها بأيدى التجار الوطنيين الذين يقومون حينذاك بضم رؤوس الاموال المتفرقة ليتكون منها رأسمال واحد ضخم يمكنه القيام بجلب كميات كبيرة من عموم الحاجيات بأرخص قيمة

ثانيا - بواسطة الماء المجلوب يمكن غرس الاشجار من فواكه وأطعمة وروائح عطرية في ضواحي البلاد بكثرة

ثالثا ـ بواسطة كثرة المغروسات ومعرفة أسرارها ونتائجها الكيماوية يمكن لنا أن نؤسس معامل شتى لاستخراج ماء الورد وتقطير الزيوت والارواح التي يستخرجها الافرنج من الزهور بوسائط صناعية وبذلك نستغني عما يرد الينا من الاعطار الافرنجية من جهة ونربح جيداً من جهة أخرى بارسال ما نستخرجه الى أسواق التجارة في البلاد الخارجية .

رابعاً — نؤسس ست مدارس صناعية أو « ورش » في كل بلدة من الحجاز واحدة ونجلب لها معلمين من الخارج لنشر الصناعة وتعميمها .

خامساً — نؤسس أربع مدارس كبرى (كليات) لتعليم العلوم والآداب والافكار في مكة وجدة والمدينة والوجه

سادسا — نبنى كل عام باخرة حمالة . لنقل البضائع كالبواخر المصرية على الاقل . أو بارجة حربية كبيرة الحجم في كل بضع سنوات فقد لا تمضي بضع سنوات إلا ونحن في السماك الاعزل

وكان ذلك خيراً لنا من انسحاب تلك الاموال ـ أموال الدخل في العشرة سنوات التي حكمنا فيها الحسين ـ الى قبرص

سابعاً — نبنى ملاجىء عامة لتربية الايتام والفقراء وتعليمهم واعدادهم لخدمة الوطن ، فقد يكون بين هؤلاء البؤساء الذين تهمل تربيتهم عادة من يكون ـ لو تعلم ـ نابغا قديراً يقود أمته الى

النفع العظيم ولكن نبوغه ومواهبه تضيع باهما لنا له اليوم سدي ؟ .

***

هذا ما عن لى ابداؤه من الآراء تجاه مدخول الحجاز السنوى الذى يضيع بين الكأس والطاس بل بين . . . ومن الأسف أنه يعود فينسحب بطبيعته الى الخارج من حيث لا يبقى منه داخل الحجاز ولا نصف مليون .

نعم ان ستة ملايين من الجنيهات في كل سنة مبلغ هائل والحجاز قطر فقير فالمبلغ بالنسبة له كافٍ للقيام بكل تلك الاعمال العمرانية والاجتماعية الحيوية التى شرحتها آنفا فعسى أن يأتى على الحجاز يوم تكون له فيه اذن صاغية وعين باصرة ونفس متحركة وهمة صادقة . فيعترف لمثل هذه الافكار بالاهمية ويقدرها حق قدرها متأثراً لكلمة الاديب عبد الوهاب آشى

« دعارة وسعادة لا يجتمعان . وجهل ورقى لا يتفقان . وافتقار واستقلال لا يأتلفان » وانى أضيف كلمة عساها أن تنال حظها من التأثير : تقدم الشعب الحجازي يتحقق اذا توفرت فيه الرجال المفكرون الذين هو أحوج اليهم من الرجال الماليين . وتضافر على العمل لرفعه باخلاص كلّ من الفتى والفتاة . وهناك تكون الحياة الحجازية المنشودة على أتمها ؟؟

كيف تكونين ؟

أيتها الآنسة الحجازية العاقله المستفيدة .

أيتها الطفلة وأيتها الكعاب وأيتها الفتاة .

أيتها الابنة الآن والأم غداً . . .

سأتحدث اليك حديثا ـ هو الاول من نوعه ـ هو الحديث الحامل اليك آلاما من الماضى وآلاما في المستقبل ، هو المملوء بأفكار الحاضر وآداب الحاضر ودساتير الحاضر وأمجاد الحاضر ، بما فيها من روعة وجمال . وستصغين .

نعم سأتحدث اليك وانى لشاعر أن سيغضب هذا الحديث أمك وأباك وعمتك وعمك وخالك وخالتك (وبالاحرى جدك وجدتك العجوزين) ولكنه سيرضي أخاك وسيرضى قرينك ـ فثقى ـ

سأتحدث اليك كيف تكونين

كيف تكونين أفكاراً وأدبا ـ

كيف تكونين علما واخلاقا ـ

كيف تكونين عيشة وعوائد

***

أما الفكر والأدب ؟

اقتنعي اولا ان تتعلمى طفيفا من القراءة العربية ثم الكتابة ولوازم الكتابة ثم الاطلاع على الصحف واهمها المجلات ثم فكري . لاأقول لك

كوني رسيلا من الفكر . ولكن فكرى في حياتك الشخصية كيف تكيفينها ؟ كيف تجعلينها سعيدة مع البساطة، فكرى كيف تكوّنت هذه الأمة العربية. من العرب الذين تعيشين بينهم وتتسمين باسمهم ـ فكري أى سبيل يجب أن تسلكه أمتك وبلادك ، فكري في أى المؤثرات أفيد وأقوى مفعولا ليترقى الحجاز . ثم اكتبى ، اكتبى ما يعن لك ، وما يبدو أمامك وما تتخيلينه ناجعاً ومفيداً

* * *

وأما العلم والاخلاق ؟

كونى عالمة بدينك . كونى عالمة بواجبات الزوج، عالمة واجبات المنزل والعائلة . عالمة بواجبات الطفل . ثم ألا يكون أجمل وأرقى ان تعلمى دروساً من تاريخ بنيتك . وتاريخ وطنك . وتاريخ أمتك . وتاريخ بلادك العام . وضرورى لا يحتاج الى تذكير أن أقول لك تعلمى الخياطة والتطريز والخ . والاخلاق ، الاخلاق يا عزيزتى هي عمادك الاول ، كوني خليقة وديعة متواضعة متذوقة متيقظة نشيطة فقط

وأما المعيشة والعوائد ؟

بالاجمال .

عيشي بعوائد أسرتك أيتها الآنسة ، وعيشى بعوائد قرينك أيتها السيدة . ولكن ميزي وتصرفي فى الحالتين . وعيشى حرة مستقلة أيتها السهلة المتوسطة عيشاً أفادك إياه ما درسته وتعلمته وطالعته في شبابك ـ لانك إذ ذاك أم

وأخيراً .

سلى تاريخ بلادك عمن نبغن واشتهرن فيها من الآنسات والسيدات — سلى تاريخ العرب (أمتك) عمن كن فيها من فضليات النساء اللاتى كن اعلاما لبنات جنسهن ، وللرجال أيضاً. سلى تاريخ الحجاز (بلادك ووطنك الخاص) عن أولئك وهؤلاء وكثير غيرهن

خديجة بنت خويلد . عائشة بنت أبى بكر . فاطمة بنت النبى . الخنساء بنت عمرو . هند بنت عتبة . ليلى بنت البراق . اسماء بنت أبي بكر . حفصة بنت عمر . الزباء ملكة تدمر . بلقيس ملكة اليمن . قتيلة بنت الحارث . سفانة بنت حاتم طي الخ

ثم ألا يدهشك أيتها العزيزة؟

ألا يدهشك أن هؤلاء بنات جزيرة العرب ؟

أو لا يدهشك ان جلهن حجازيات؟

خذى نصيبك الواجب من التربية والتهذيب والتعلم والاطلاع والوطنية والشعور، وترسمى خطوات هؤلاء ولا أقول لك اسبقى وانبغى وترجمي وحاضرى ولكن . فكرى . واكتبي واقرئي . واستعدى . فأمامك مستقبل منير حافل بما حملته الى الشرق والى الغرب وستحمله مدنية القرن العشرين

ومعارف القرن العشرين

وأفكار القرن العشرين

ورقى القرن العشرين وحطمي قيوداً كنت ترسفين بها من أمد بعيد ؟

فلسفة الحياة العصرية

الحياة العصرية هي كما يقول عنها الكثير الاكثر من الكتاب . ليست فى التمتع بالمواد الجثمانية فحسب . بل هى حياة مزدوجة من ذلك ومن صبغ الفكر الانساني بصباغ الآراء الصحيحة المنقحة التى اكتشفها العلم الحديث أو أنتجتها الآداب الراقية . وكانت ثمرة من ثمرات اللياقة البسيطة في الحياة اليومية المتداولة !

. عش حراً

. كن مفكراً

. اعمل لتعيش

. اترك التقعر وحب الظهور الكاذب

. اندمج بعادات بلادك

. ميز ماتراه

. اندفع الى التقدم

هذه هي دساتير الحياة العصرية التي يريدها منا الفكر الانسانى العالى . والتى هى آخر ماوصل اليه فكر الانسان من وضع سنن الحياة الكاملة بحذافيرها . وانها علاوة على كونها أكمل الأنظمه التى اختارتها عقول المفكرين للعيشة السعيدة ، فهى أيضاً . أنظمه طبيعية خلق عليها الانسان الفطرى وارتقى اليها الانسان المدنى في أعظم أدواره حضارة وارتقاء — ولا جديد تحت الشمس .

أبن الحجاز

يا ابن الحجاز !

هل يأتى يوم تعرف فيه من أنت ، وما هى مدخليتك في تكوين اللغة العربية (والبلاد العربية) (والجامعة العربية) (والحياة العربية) ؟؟؟

وبالأحرى

هل تأتى ساعة تعرف فيها نفسك تماماً أيها الماهر في تقليد شخصيات الغير ! المتنصل من عروبته ، وجنسيته وآدابه ! !

* *

صورة مصغرة للفتى الحجازى ، الفتي الحجازى مرن الطبيعة لدنها فاذا خالط المصري انقلب مصرياً ، واذا ماشى السوري استحال الي سورى . واذا سافر الي الهند عاد هندياً (ولولا الحياء لخاطب أباه وأمه بالأوردو)

واذا غاب شهراً . شهراً واحداً فقط . في جاوا عاد لا يعرف من العربية شيئا ، وأصبحت الملايو لغته الرسمية . وان هذه المرونة لتختلف فى أفراد فتيان الحجاز ، فمنهم الذي اذا غاب عن الحجاز مدة بمصر أو بغيرها مثلا عاد ينقم على الحجاز قفره ورماله : أف ، ماهذا الحر الشديد ، كيف تطيقونه هنا ، ان الله تعالى أعطاكم قوة كافية من الصبر ، وينحى باللائمة على عاداته ، وأنظمته وأخلاق بنيه ، والله مارأيت جنازة واحدة بأسمره ، هناك تجد الموتى نادرى الوجود ، كذلك لم أر حجراً واحداً في

الطريق يوم كنت راكباً القطار في السويس . أمتنا همجية جداً ، والا كانت تضع فناراً للسفن كفنار بور سودان . بالمرة هنا لا يفهمون شيئاً . ما هذه الاخلاق والعادات المنتشرة بينهم . يا أخي حسن ! مافائدة المصافحة التي تستعملونها . في مصر يكتفون برفع الايدى دائماً على الرأس فراراً من المكاروب يريد أن يقول « المكروب » وما معني صباح الخير ! والله أرى ان كلمة نهارك سعيد أظرف كثيراً ، وربما أنكر على الحجاز أرضه وسماءه وهو من طينته الاولي خلق ، وبماء الثانية نشأ ، وربما بلغ به الامر الى انتحال الوطن الذى كان مهاجراً اليه ، وتنصل من الحجاز رأسا ، ولكن لا ككل صفات هذا كل صفات أبناء الحجاز ولله الحمد !!.

***

لهفى عليك يا ابن الحجاز « المرن ! »

ألا تعرف ماهى آثار بلادك في العالم

من الحجاز خرجت أعلى ديانة جمعت عناصر الامم ووحدت بين هممهم ، ومقاصدهم ، وربطت عواطفهم ، وبثت في عموم العالم معنى الاخاء والمساواة ، والمصلحة العامة ، والنفع المشترك الخ .

من الحجاز خرجت أسمى أفكار عربية صحيحة دانت لها فلاسفة الأرض ، وأقطاب السياسة والتفكير ، وشهدلها متنورو العالم من افرنج وخلافهم بأنها لم تتمخض الارض عن أفكار أسمى ادراكا ، وأبعد نظراً

من الحجاز من بين تلك الرمال القفراء برز أعظم دستور أممى يمكن لأرقي أمة وأعلاها كعبا في الحضارة أن تجعل سوره وآياته نظاما حيويا

وقانونا ساميا ، أخلاقيا ، أدبيا ، سياسيا ، اجتماعيا ، تسير عليه فى حياتها العصرية الحاضرة لا نه يتمشى على مدنية القرن العشرين قدما بقدم ، وسيتمشي على مدنية القرن التسعين والمائة والألف أيضا .

أسفى عليك يا ابن الحجاز

تشهد لبلادك أمم (وأفراد) أجنبية بأنها مهبط الوحى ومنفجر البلاغة ، وينبوع الفكر السامي ، ومنشأ تهذيب الكون - عربيا كان أو سواه - ثم تجيء أنت وفي يدك معول من مرانة الطبيعة التي تسوقك الى التقليد والانخراط في سلك عناصر من تخالطهم ولو قليلا متنصلا من وطنيتك لتهدم شرف الوطن ، وتتلف مركز البلاد

الادب فى الحجاز

بعض من شباننا الادباء وبعض من قراء الكتب الدارجة يقرض القطع الشعرية البديعة الناصعة — ناصعة والحق يقال — ولكن ماذا يضمنها من الافكار .

ينظمها في الخمريات حتى يسابق أبا نواس
وفي الغزل حتى يغلب الشاب الظريف
وفى المديح حتى يفوق البحترى
وفي الحماسة حتى ينسينا ذكر عنترة
وفي الحكمة حتي لا يضاهيه أبو العتاهية

وكل هذه — من الافكار المائتة التي دفنت مع عصور أبى نواس والشاب الظريف ، والبحترى ، وعنترة ، وأبي العتاهية ، فلا تصلح لنا . أما اذا لم نستطع أن نأتى بفكر جديد — ولدينا من الافكار والمقاصد والاغراض الشعرية ما يكم أفواهنا عجزاً وقصوراً عن استيعابه — فأحر بنا أن نحطم أقلامنا ونسكت

أمامنا الوطن بحاجاته المادية والمعنوية وما يتطلبه الشعر فيها
أمامنا العادات ، والاخلاق بما فيها من فساد يتطلب النقد
أمامنا الحرية بأنواعها ، وما يجب من تمكينها في النفوس
أمامنا الشرق الكسول الخامل وما يجب من تنشيطه
أمامنا التغني بامجاد الشرق ومفاخر الشرق

أمامنا العرب بحالتهم السياسية وواجب الشعر العصرى بهذا الصدد أمامنا الغرب باختراعاته ومدهشاته وأعماله وما يتطلبه المقام في ذلك من تمثيله والحث على متابعته الخ الخ ....

إذن : فمالنا نرجع الى الوراء حتى فى الادب ؟

جناية جناها على أفكارنا وأقلامنا الاقدمون فطأطأنا لها الرءوس كفى يا أدباء الحجاز ! الانزال مقلدين حجريين الى الممات..واقسم لولا حركة عصرية في الادب قائمة الآن فى الحجاز بهمة لفيف من أحرار الادب العصرى لما عرف العالم شيئا في الحجاز يدعى الأدب الصحيح !

حاجتنا الى اللغات الاجنبية

بحث هام . كان من واجبنا ان نتناوله بأقلامنا، فعليه ربما يكون مدار حياتنا العمومية ، ومدار حياة الافراد

حاجتنا الى اللغات : شديدة هي حاجتنا الى اللغات الاجنبية عمومها وشديدة لحد محسوس ، حاجتنا الى لغات الغرب ، الغرب المستعمر الملتهم الذي يطمح ببصره الى التقامنا ونحن بجانب التفكير في هذه المسألة مسألة الالتهام التى يسمونها : « الاستعمار »

كم هى شديدة حاجتنا في الحجاز الى اللغة الانجليزية ، خصيصاً ، وان عليها لمعولاً ضخما في فائدة استعمال العلاقات بيننا وبين هذا الشعب الانكليزى الهائل ، فيجب أن نفهم كيف نستفيد من تلك العلاقات على اختلافها وتنوعها وكيف نستخدمها في مصالحنا فرديا وأمميا — واللغة الافرنسية تلك اللغة التى أصبحت اليوم لغة الانسان الحى ، تلك اللغة الغنية بموادها ، الفياضة بمعانيها وألفاظها ، اللغة الحية النامية التى هي الوسيلة الاولى الى راحة الانسان ورفاهيته وتمدنه ومعيشته أنى ذهب . لغة التجارة ، لغة العلم ، لغة السياسة ، لغة الأدب ، لغة الاختراع ، فعبثاً كثيراً والى درجة نهائية من العبث أن يستغنى الحجاز عن رواج « اللغات الاجنبية » لا سيما الافرنسية والانكليزية — في مدارسه ومجتمعاته ، ونواديه رواجا لا كرواج اللغة العربية لغة حياتنا الاولى ، لغة

سيرنا الى الامام ، إنما أقول : لنتكلم اللغة العربية ، ولكن لنتعلم اللغة الاجنبية أيضاً لنستفيد منها حضارة وعلوما ، وأفكاراً ، ونكتسب بواسطتها اختبارات تؤهلنا لتوسيع دائرة التجارة ، واستثمار الاموال ومتى علمنا « ان في الغرب أعيناً راصدات كحلتها الاطماع (فينا) بسهد » ـ حافظ ، فلنتعلمها أيضا لنقف على أخبار تلك الحركة الالتهامية الموجهة نحونا لاجل أن نعرف كيف نقابلها بما يجب !

والنهاية ، انه لا يوجد اليوم ناطق بالضاد (ولا بالإكس حتى) ينكر هذا الواجب الحيوى على الشرقيين عموما والعرب خصوصا ، واحب الاحاطة والالمام باللغات الافرنجية التى أصبحت اليوم رسمية لسبعة أثمان الكرة الارضية

***

بعد كتابة هذه المقالة علمت أن الحكومة صرحت بوضع تعليم اللغة الانجليزية في نظام (بورغرام) مدارسها الجديد فقلت خطوة الى الامام وتذكرت حادثة المستر كراين المثرى الامريكي الذى أتى الى الحجاز في زمن الحسين وطلب منه أن يصرح له بأخذ أربعة من أبناء الحجاز لتعليمهم في الخارج على نفقته فامتنع الحسين لانه كان يخشى كثيراً من المتنورين أن يظهروا فى الحجاز فيكونوا سببا فى انهيار العرش

فمليك ينشر العلم ليحيا ومليك يرهب العلم القويم

بريشة الفن

ـ الليل ـ

أيها الليل يامنجم ذهب الافكار الشاردة !

أيها الليل يامجموعة أنات البائسين !

أيها الليل ياعاصر سلاف الفكر وساقي خمور البيان !

أيها الليل ياموقد جمرات الحب في أفئدة العشاق !

أيها الليل ! ـ

***

سامرتك أيها الليل ، منعزلا في غرفتي ، متوسداً طرف مكتبي قابضا على زمام يراعتي ، ملقيا أمامي مسودات دفاترى ، جامعا بجانبي معاجم كتبي ، ولفافة أوراقي ، قابعا فوق مقعدي ، حاسراً عن ناصيتي ، ناظراً الى عقود نجومك المصطفة في نحر السماء ، مناجيا بدرك المنير المطل عليّ من نافذة المكتب كرقيب يكاشف أعمالي

سامرتك أيها الليل ـ

***

جبار أنت أيها الليل ، حيثما تتوالى في احشاء سديمك المسدول صرخات المنكوبين ، ولهفات الأمهات وتأوهات العاشقين ، ودعوات

المظلومين ، وأهازيج الشياطين ، وأناشيد المدمنين ، وزفرات المعذبين ، وعند هجوم تلك الحوادث المؤلمة :

جبار أنت أيها الليل -

***

حليم انت أيها الليل عند ما تسبح في بحار ظلماتك أرواح النائمين وتمتد الى السماء فيك صلوات العابدين ، وترن في أحشائك قبلات المحبين وتدر بين جوانحك قرائح الكاتبين ، لذلك ولسكونك الرهيب :

حليم أنت أيها الليل-

فى آذان المتمرئسين

أريد في هذا الخاطر أن أهمس كلمة في آذان المتمرئسين ، وسماحاً أيها المتمرئسون ان كانت كلمتي نارية التأثير ، فلا رائد لي الا الحقيقة ، والحقيقة مرة محرقة على الدوام ، فلا يهولنكم السهم يرمى عن كثب فهو لا يعطب به الا الساقطون والمستحقون للعطب فهلا ، وأيضا لا أجعل هدفي في رميتي هذه الا الشبان المتمرئسين . أما اولئك الشيب فسيتولى الدهر حصدهم فليؤخروا الى يومهم ، ومايوم فنائهم عن العالم ببعيد

طلب الرئاسة ، وحب الرئاسة ، والعمل لنيل الرئاسة . واجب اجتماعى عند ذوى النفوس الطامحة ولكن . . . للرئاسة مقاما لا يجب أن يتسنمه الا ذلك الرئيس العبقرى الذى يجمع بين برديه نفسا عصامية عالية الشعور راقية الاخلاق ، فياضة العواطف قوية الحس ، منظمة الافكار عاملة على احياء نواميس الكون . فان كنت ذاك الذي يمكن أن يكون - أيها المتمرئس الشاب ! - فدونك المنصب أنت له وهو لك . أما أن تريد التمرؤس يا أخى ! وأنت ذاك المجرد من العقليات والنفسيات الواجبة ، الضعيف الارادة والفكر ، الخائر النفس ، البسيط التجارب والمعلومات فلا . لا يجب أن تكون مهزأة للأصغرين بتعرضك لما لا يعنيك ومالست له بأهل وانى لأخشى عليك يوما تعاف فيه حياتك ، هو ذلك اليوم الذى ترى فيه طفلا أو غلاما ينشد لك وهو يبسم :

والـكلب أحسن حالة وهو النهاية في الخساسه

ممن تصـدر للرئاسة - قبـــل إبان الرئاسه

فلاتقدر أن تلومه أو توبخه ، بل لا تقدر أن ترفع في وجهه عينيك الشاحبتين ، ووجهك الذى أصفره التقريع ولاتملك أمامه نفسك الضعيفة التى سحقتها الحقيقة سحقا لانك ربما سمعت يوما في حياتك نص المادة الاولى من دستور الترؤس القائلة :

« ان الوظائف بالكفاءة والاستحقاق » أو سمعت قول الشاعر السوري الحديث (الياس ابوشبكه) :

وان حقوق الاجتماع حرية بأهلية في الشخص لابمآرب

فلأن يكون الشاب الحر مرؤوسا حراً اشرف لحياته - لو علم - من ان يكون رئيسا طفيليا ساقطا ؟ يتلاعب بمقامه الأصغرون

اللغة العصرية

جاءنا السؤال الآتي من حضرة الاديب محمد سرور الصبان وكان قد وجهه الى عديد من أدباء مكة ورأى اني سأكون في عداد المجيبين على سؤاله وكنت سمعت أنه سيجمع الاجوبة وينشرها في كتاب خاص ولكنه لم يفعل الى الآن وعسى أن يكون مصراً على تنفيذ هذه العزيمة في المستقبل (١)

السؤال — هل من مصلحة الأمة العربية أن يحافظ كتابها وخطباؤها على اساليب اللغة العربية الفصحى ، او يجنحوا الى التطور الحديث ويأخذوا برأي العصريين في تحطيم قيود اللغة ، ويسيروا على طريقة حديثة عامة مطلقة ؟؟ ...

***

الجواب — ظاهر السؤال ينوه عن نقطتين : نقطة الألفاظ ونقطة الاسلوب .

— ١ —

الألفاظ — اتحدت آراء الكتاب في عموم أنحاء الكرة الارضية على نقطة مركزية للبيان العربي هي ضرورة (ووجوب) استعمال الالفاظ العربية كما جاءت ببنائها الصرفي ، وتركيبها اللغوي (قانون قواعد اللغة)

(١) الاجوبة جمعت في كتاب حافل سمي « المعرض » وقد طبعته المكتبة الحجازية بمكة قبيل الابتداء بطبع هذا الكتاب « الناشر »

وكما لفظتها ألسنة العرب في عصر التهذيب الثالث « للغة العربية » وهو عصر قيام أسواق الأدب بعكاظ وغيرها من مؤتمرات البيان ، ولكن مع مراعاة الصقل الحديث الذى اعترى الألفاظ من عصر المحدثين ، وهناك مبحث آخر هو مبحث التعريب فمثل كلمات « بسكليت » و « بالون » و « تواليت » الخ من صالح لغتنا العربية أن ننبذها للوراء ونستخدم مقابلاتها حفظاً لكرامة اللغة ، وضناً بشهرتها ونفوراً بها عن الخليط والدخيل الذى هو سمة النقصان والعيب ، وهذا لايمكن الا بتواطؤ الجرائد والمجلات العربية على استعمال المعربات ليعم شيوعها ، ويسرى على نبرات الاقلام العربية في كل صقع عربي . وان لنا من اتساع لغتنا مايكفينا هذا العبء ، وقد تألفت في مصر من قبل سنوات (خمس أو أكثر ـ لاأتذكر) جمعية لغوية عصرية لهذا الغرض خصيصاً فوضعت كثيراً من المعربات ككلمة « دراجة » لبسكليت ، و « منطاد » لبالون ومرقب لتلسكوب ، ومجهر ، لميكرسكوب ، ورثية لروماتزم وخلاف هذه كثيرة . أما مثل : تواليت ، فلم أطلع على معرب لها مفرد والظاهر ان تعريبها بكلمه واحدة لايستطاع لانها تعطى معني ترصيف الشعر على الطريقة الافرنجية ، ففي مذهبي ان الكلمات التى كهذه اذا أمكن نقلها الى اللغة العربية بكلمة واحدة فهذا هو المنشود . أما اذا لم يمكن الا بجمل مركبة أو باستعمال كلمة عمومية مشاعة المعنى فلا بأس اذن من بقاء اللفظ الافرنجي ، هذا اذا لم يكن اللفظ الافرنجي ذاته مركباً ، أما اذا كان كذلك فلامانع من تعريبه بكلمتين ككلمة . « لترموتر » اذا عربناها بميزان

الحرارة . على ان المأسوف عليه الاستاذ ابراهيم اليازجي تمكن من نقل بعض الكلمات الافرنجية المركبة الى العربية بكلمة واحدة مثل « فونتان بن » بمعنى (القلم المحبر) عربها بكلمة مدّاد والداعي الى ذلك حاجة الكاتب العصري الى استعمال المعاني الجديدة الاختراعية الفائقة في هذا العصر ، فنحن في القرن العشرين المملوء بالمكتشفات والمخترعات، لا في القرن السادس عصر الفأس والجمل والهراوة والقدوم ، والحيزبون ، والخشليل ، والعلطبيس قال الصفى الحلي :

ماسمعنا فتى يغنى قفانبك — على العود إذ تدار الكؤوس
لا ،ولا من شدا «أقيموا بني أمي» — اذا ما أديرت الخندريس
انما الحيزبون والعلطبيس والطخاو النقاخ والغلطميس
لغة تنفر المسامع منها حين تتلى وتشمئز النفوس

فلا يحسن باللغة العربية أن تقف جامدة مكتوفة اليدين تضن بأوضاعها على مثل تلك الأوضاع الحديثة بينما القواميس الافرنجية تمتلىء يومياً بالألفاظ الجديدة والاغرابة فاذا بحثنا عن الطيارة مثلا نجد ان لكل قطعة من أجزائها اسما خاصا حتى أصغر مسمار فيها وهكذا ...

يقول ميخائيل نعيمة مستشار جمعية « الرابطة القلمية » العربية في أمريكا : ان اللغة التى هي مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع الا لقوانين الحياة فهى تنتقى المناسب ، وتحتفظ من المناسب بالأنسب في كل حالاتها ، وكالشجرة تبدل أغصانها اليابسة بأغصان خضراء وأوراقها الميتة بأوراق حية ، وحين لا يبقى لها في تربتها من غذاء تموت بفروعها وجذورها ،

ولو تجمهرت كل البشرية لما استطاعت ارجاع الحياة اليها . هكذا ماتت البابلية والأشورية ، والفينيقية والمصرية وكثير سواها

— ٢ —

الأسلوب — فيما أرى ان أولى أسلوب يقوم بسد حاجتنا ويضمن لنا المشى مع سنة النمو والارتقاء . لأن اللغة كائن حى . هو الأسلوب القرآنى وبالاوضح الاسلوب العربي المعقول ، أعني الاسلوب العصري الفصيح المتداول ، الذى جاء في سؤال الكاتب تسميته «بالتطور الحديث» ان كان يقصد اليه ، أما ان قصد بالتطور الحديث الجري جنبا مع الفهم العامى والاندفاع في تيار الابتذال بطرح قوانين اللغة فذلك أقرب الى سقوطها منه الى نفعها والنفع بها والاعجاب بتأثيرها ، والانفع للغتنا أن نحفظ لها أسلوبا كتابيا واحداً يسلكه الكتاب والعمدة في ذلك الجرائد والصحف . وصفوة القول في الاسلوب هى ان للغتنا العربية اليوم ثلاثة أساليب كبري عامة :

الاسلوب العربى المحض «الجاهلى» . و«الاسلوب العصرى الرشيق» ويمكن التمثيل له بأسلوب الجرائد . و« الاسلوب العامى الدارج » أسلوب التخاطب والتفاهم الحاجى

وبأدنى تأمل يحكم الكاتب — نظراً لمصلحة قلمه ومصلحة الامة واللغة العربيتين — بتفوق الاسلوب الثانى على رصيفيه وذلك مالا يمس بكرامة اللغة العربية

« نتيجة الرأى » : —

من مصلحة اللغة العربية أن يحافظ كتابها وخطباؤها سياسيين ودينيين على الالفاظ العربية المصقولة وأن يجرى اسلوب الكتابة والخطابة على الطريقه العصرية المرتكن اليها بدون تقليد كل تطور حدث تقليداً أعمى وذلك لا بد منه لكى تحفظ كرامة اللغة من الدخيل المعيب ولكى تتحد الأفكار في التفاهم تقريباً ، أو تتقارب على الاقل ولكى تمشى اللغة على ناموس دائمي حي متحد ولكي تكسى اللغة رشاقة فوق رشاقتها الطبيعية وعلى الجرائد العربية أن تفتح صدورها لنشر كل مقالة أو قصيدة أو قطعة تكون على هذا النمط وبذلك يحفظ للغة العربية مستقبل مجيد :

تحليل ولي الدين يكن

اعجابي بالكتبة العصريين (أو الكرام الكاتبين) يكاد يكون منحصراً في ولي الدين يكن ، والمنفلوطي ، وأمين الريحاني ، والعقاد ، والآنسة مي، وشكيب ارسلان، وسليم عبد الاحد — الكتبة الاحرار، وهؤلاء بعد أعضاء الرابطة القلمية (جبران ـ نعيمه ، عريضة ـ أبي ماضي ـ الخ) كما أن اعجابي بالشعر العصر (أعني النوع المعروف بالشعر الهندسي) منحصر تقريباً في شعر الاول من هؤلاء ، وشعر بشارة الخوري، وفؤاد الخطيب ، وآخرين لا أتذكرهم الآن (ما عدي أعضاء الرابطه القلمية) هؤلاء هم الشعراء الاحرار

* * *

سقياً لقلمك يا ولي الدين !

لولي الدين يكن ، بأدبه العمومي نفسيات ثلاث :

ولي الدين الشاعر	المبتكر
ولي الدين الكاتب	المفكر
ولي الدين الناقد	الحر

* * *

في أسلوب هذا الكاتب الشاعر الحر النابغة ، رنة موسيقية تقيم الانفس وتقعدها ، مصوبة بها ومصعدة ، الى حقيقة لا الى خيال ـ الى فكر حي لامع ثمين كالجوهر في أطباق الاصداف

اذا شاء حديث العهد بالادب العصرى، أن يتعلم الأدب العصرى على اسمي رونقه، والادب العصرى مركب من لغة صقيلة منخولة، وأسلوب حي متفزز، وأفكار جميلة ذهبية راسخة في أعماق الحياة، وحرية تشف من خلال التراكيب ـ فليدرسه في كتابة ولى الدين يكن

الكاتب الجبان، والكاتب الخيالى الصرف، والكاتب الذليل النفس، والكاتب الخرافي الافكار، والكاتب المقلد، والكاتب غير المدرب، كل هؤلاء عقبات سيئة في نمو الكتابة العصرية، ومعاول ثقيلة تهدم من صروحها العالية وعرشها المكين، كل هؤلاء كان ولى الدين خلافهم على خط مستقيم كان كاتبا شجاعا، وباحثاً حقيقياً، وحراً عالى النَفْس والنَّفَس، وعصريا، ومدرباً يقظاً سياسياً في كتابته يعرف كيف يكتب، وماذا يكتب، بدون مراعاة التيار أو الفكر العام.

وهذه الصفات اذا اجتمعت للكاتب الحديث كان روحا قوياً ذا تأثير جيد في الحياة الأدبية، وقد يمكنه أن يقلب كيانها بقلمه، تبعاً لسنة النمو، والتكوين، — كما استطاع جبران، ولم يستطع ولى الدين ذلك لان الوسط لم يساعده.

* * *

في قلم ولى الدين ـ كاتباً وشاعراً ـ وفي أفكاره الحرة، تجد العبقرية والنبوغ يضيئان ـ لقارئه ودارسه ـ سبيل الوصول سهلا الى فهم ما يتغلغل تحت أعماق قلمه الموسيقى الهزاز، وينبع من معين فؤاده الفياض المتدفق ويشع من مصباح دماغه الفوار المشتعل

الشرق الاقصى

نحيا نحن الشرقيين على هذا النظام الدائمي في أغلب عناصرنا وأدوارنا :

— نولد . لنتربى لنعمل مانشتهي
— ونعيش . لنأكل لندفع الموت
— ونموت لان حياتنا تمت وانتهت

ولكن يحيا الغربيون على نظام آخر دائمي في كل عناصرهم وأدوارهم :

— يولدون ليتعلموا كل مفيد
— ويعيشون ليفكروا ويعملوا
— ويموتون ليخلدوا للغير آثاراً راقية

***

فهل تظن ان حياتنا تنطبق (ولو بعض الانطباق) على حياة الغربيين أو تشابه بعض المشابهة حياة الغربيين ، أو تقارب بعض المقاربة حياة الغربيين ؟ — لا ورَبي ! !

اذن : كيف نعتقد اننا أمة ذات قيمة في التاريخ لها ماللأمم العظيمة الحية من الحقوق وعليها ماعلى تلك من الواجبات العامة والخاصة ! !

أيفكر الغرب ويخترع ويكتشف ويصنع ويبقى الشرق صامتا هكذا سادماً نادماً يعض اليدين ؟....

سياسة خرقاء ، وكسل مميت ، وفكرة حمقاء ، وعجز وجبن وسخافة وهراء ، بل موت وأبيك أيها الشرق

أيها الشرق الاقصى (أوالأوسط بحسب ما اختلف فيك الملقبون) إياك أعني وأنت أريد ، أما الشرق الادنى فقد نهض وسعى وتقدم ونال حضارة لايستهان بها وسابق الغرب وقد يسبق الغرب !!

أجل . نهضت مصر فحازت مكانتها تحت الشمس . حازتها في السياسة والادب والاجتماع والعلم والصناعة والمدنية والفن والنبوغ الخ .

ونهض الاتراك الاسيويون فجددوا مجداً متقوضا وشادوا دولة وسيادة على أنقاض الماضى الاقتم ، وهاهم يشار اليهم بالبنان

ونهض الريفيون — المغربيون — فواقفوا دولتين من أضخم دول الغرب ، وجالدوا حتى خلدوا لبنى أمتهم مجداً لايمحى . . . (وان العالم لينظر بأمل هائل الى نجاح ثوار سوريا الاحرار !!!)

***

وقطعة هامة من الشرق الاقصى نهضت أيضا لتنال حظها في الحياة لاجرم !

نهض اليابان وكانوا قبل نصف قرن كما أنت بحالتك اليوم وهاهم يبعثون اليك بآثار صنائعهم الزجاجية والترابية والزنكية ، والانسجة وخلافها .

ونهض من قبل هؤلاء — قديما — الصينيون فحاربوا وانتصروا واشتغلوا فنجحوا ، وفكروا فعملوا ، وسابقوا وسبقوا !...

وأنت أيها المسكين الهادىء !

الصامت المبالغ ، المشمئز

قم وانهض ، وانفض غبار الكسل ، فعار وحرام وموجب للاسف بل والبكاء أن تبقى محاطاً بالخمول متبرقعاً بالكسل والانحلال ، وتمر الامم الصغيرة من أمامك فتقطع في سعيها النافع أشواطا بعيدة ، وأنت كجسر تعبر عليك المارة ، ولا تتحرك من مكانك

قم وانهض ، فسيباركك الله لأنك منجم الأديان

الزواج الاجبارى

— ١ —

علق بها لاول نظرة أرسلها من عينيه دافع الطمع فاقترن بها ، ولم تكن له رغبة في الاقتران ولكنه رضخ لارادة والدته اللحوح

أما هي فلم تكن تلائم طبيعته لانه لا يلائم طبعها ، جمعتهما ليلة البناء فجلسا متقاربين

راعها منظر مجلداته الضخمة المصطفة فوق الرفوف كأنها عُلب التبغ في أحد الحوانيت الكبرى فأخذت الافكار تتضارب في مخيلتها ؟

« فقيـه . . ؟ ، عالم . . ؟ ، دجّال . . ؟ ، فيلسوف . . ؟

أواه يا لسوء حظي قد وقعت في حبائله لا مناص

— ٢ —

ما أقسى قلوب الآباء وما أسلس قيادهم للأزواج يكاد الأب أن يتبرم بوحيدته اذا بلغت سن الزواج فيجيب لاول داع من دعاة الزوجية

— ٣ —

مضت بعد البناء سبع ليال قطفا بها زهرة الاجتماع . راعها فى الليلة الثامنة ابطاؤه عن الحضور

ملك مشاعرها شوق الاجتماع بعد خمس عشرة ليلة مكثتها منفردة

قلقت أفكارها بعد شهر لمراقبة النجوم المتألقة

أضر بصحتها الارق الى قرب السحر

ضجرت بعد شهر ونصف

سئمت معاشرته بعد نصف سنة

— ٤ —

أما هو فيقضى الليل ساهراً بحسب « البورغرام » الآتى :

ليلة في البلياردو ، ثانية في السمرات ، وثالثة فى الأذكار فيخسر في الاولى ماله ، وفي الثانية عقله ، وفي الثالثة ديانته

— ٥ —

راقبت الفتاة المسكينة في إحدى الليالى الدامسة هجوع العائلة فتبرقعت الدهماء ، وانحدرت في مسارب الظلمة السائدة. سبحت فى بحر الحياة تتقاذفها تيارات المصائب. لعب بفكرها شيطان الشباب فاسلس قيادها . . . .

— ٦ —

أين تفر وقد وقعت في حبائل الوصمة السوداء ؟؟

الأب يُنكرها — والزوج لا يرضاها — والمجتمع يمجها . هكذا ختمت روايتها بضياع الشرف والراحة والحياة ! ! جريمة يجرمها الآباء الجاهلون والازواج الطائشون

تربية افرنجية

لدى الافرنج فكرة حميدة وجديرة بالاتباع لانها أثر من آثار التربية السامية ، فكرة ينحصر التعبير عنها في كلمة صغيرة هذه هي : —

« لا يجب أن ننسى ما للغير من الفضائل ، ولا يجب أن نشمئز من ذكرها ولو كان فيها غضاضة علينا » نعم رأيت هذه الفكرة الكبيرة مجسمة في أعمال الافرنج وأقوالهم وفي الوقت نفسه تكون منارا يهتدى به اللاحق ليدرك شأو السابق

فبينما نقرأ للافرنسي (١) قوله فى التربية : — أنظر كيف يستقبح النساء في انكلترا طريقة تقميط الاطفال ويستهجنّها وتقول الوالدات منهن استهزاءاً بنا : اننا ندخل أطفالنا في أكياس رثاء الناس حتى اذا سنحت لنا الفرصة علقناهم على مسامير في الجدران واكتفينا بذلك مؤونة ماتستلزمه حالتهم من العناية والرعاية اذا كانوا غير مقمطين ، وإنما ساغ لهن أن يقلن ذلك لان أطفالهن يتمتعون بتمام الحرية في حركاتهم لانهن يلبسنهم ثوبا طويلا من الصوف اللين (فانيلا) فيكونون فيه مالكي أنفسهم على قدر ما لهم من القوى الصغيرة فى تلك السن وانى والحق أقول معجب بهذه العادة لانى كثيراً ما ساءنى رؤية الاطفال يربطون وتحصر أجسادهم في

(١) الفونس اسكيروس فى كتاب التربية الاستقلالية

لفائف تضم أطرافها بالدبابيس فيكونون كجثث محنطة لفت بشرائط من الكولان[١] .

أطباء الانكليز كافة يمقتون ما يجعل في اثواب الاطفال من الحبال التي يعتمدون عليها في دبيبهم وما يتخذ لهم من الدراجات الخيزورية[٢] والآلات المتدحرجة لاجل مساعدتهم على الدرجان ويؤكدون أن استعمالها مما يؤدى الى تشوه صدر الطفل واعوجاج ساقيه بما يستلزمه ذلك الاستعمال من وقوع ثقل الجسم كله على العقبين

* * *

إذ تقرأ للانكليزى[٣] قوله في الزراعة : « ... هذه مقاطعة اللاند التي منذ خمسين سنة كانت أفقر جهات فرنسا وأشقاها أحوالا اقتصادية هى اليوم في عداد الاقطار الغنية . وتحسن حالها راجع الى أمر واحد : هو غرس الصنوبر والاعتناء به. وما قولك في زيادة تبلغ ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ (الف مليون) في قيمة بلاد كانت منذ نصف قرن لا تضم الا بضعة الوف من الرعايا المساكين الذين ما كانوا يلقون لقطعانهم ومواشيهم الامسارح معدودة ، ومراعي مجهودة ، وأصبحت اليوم كثيرة المدن والقرى ، يعيش أهلها على سعة ، ولديهم من طرق الرزق وأبوابه كل منفرج ومفتوح .

أما بلادنا (انكلترا) فمع أن الاحراج آخذة في التكاثر فعدد الغابات

(١) الكولان نبت البردى الشهير
(٢) الخيزورية المصنوعة من الخيزور وهو الخيزران
(٣) اللورد أوفبرى : في كتاب محاسن الطبيعة

مائل الى النقصان، ومع أن الضرورة قاضية بذلك وللضرورات أحكام فهو أمر يستوجب الاسف لان للغابات جمالا خصوصياً لا يعهد في غيرها .

* * *

إذ تقرأ للافرنسى (اسكيروس) أيضاً قوله في التعليم :« ... والمانيا في يومنا هذا هي مقتبس نور العرفان وهى البلاد التي يجب ان يعرف لها الفضل في الحكمة والعلم (التعليم) ونقد آداب اللغة ، ومدارسها الجامعة محط رجال الكثيرين من افاضل الاساتذة ورجال العلماء ، ومع ذلك فلا أدعوك الى قبول تعليمهم على غير بصيرة ، وتلقى اقوالهم وآرائهم قضايا مسلمة ، إذا كون قد تخليت من جميع الاصول التى اسير عليها . فللانسان شيء لا ينبغي ان يسمح به لأحد ألا وهو حرية الفكر .... »

وهكذا ـ لا ينفر الافرنسي ان يقول : ان الالمان ارقى منا في اساليب التعليم والانكليز أحسن خطة منا في تربية الاطفال ، ولا يرى الانكليزى عاراً في الاعتراف بأن الافرنسيين فاقوا أمته في الاعتناء بالزراعة، واحياء الارض وجودة المغروسات النافعة، والانتباه لاخراج الذهب من أرض كانت لا تسمح بسوى التراب

فهل هكذا الشرقى أيضاً .. ؟

الشرقى يبنى لنفسه جمالا ومجاداً وهمية مستلبة من محاسن الغير ويشيد لنفسه سعادة فاسدة على انقاض شقاء الغير، وتراه ينكر ما لأخيه عليه من فضل ومجد اذا وجد الى ذلك سبيلا

وهذا اثر فاضح من آثار عدم التربية وسوئها

بين الجزر والمد[1]

للكاتبة المبدعة ماري زيادة الشهيرة في عالم الأدب باسم « الآنسة مي » سفر أدبي عصري دقيق الابحاث فياضها مؤثر المقالات جذابها، وضعته تحت هذا العنوان : — بين الجزر والمد — رسمت فيه كل أو بعض ما شاء نبوغها من دقائق الفن والابتكار . والآنسة مي — كما يقول عنها سلامه موسى :

كاتبة الشباب تنافح عن حقوقه ، وتعتذر عن أغلاطه . . . ثم هي لأنها شرقية تحب الشرق ... ثم لانها ذكية تحب الحضارة والحث على اصطناعها ، لانها من الجهة الواحدة نتاج عظيم للذهن الانسانى ، من الجهة الأخرى سلاح يمكن الشرق أن يرد به عادية الغرب »

— معظم الكتاب يتناول ابحاث تاريخ آداب اللغة العربية ولكن بأسلوب الخطابة لا بأسلوب التأليف ، وهذه الميزة العصرية هى كل ما جذبنى الى درس مقالاتها ثم الى الاعجاب بآرائها أخيراً والهتاف : « لتحي الآنسة مي ! »

* * *

في هذا الكتاب تدافع الكاتبة — كشرقية — عن العرب فتقول :

« ... كذلك أدى العرب الى الانسانية ما على الامم الكبيرة من

(١) أهدى الي هذا الكتاب حضرة الصديق محمد سرور الصبان وكنت قد قرأت عنه في مجلة المجمع العلمى

واجب النفع والافادة : انتشرت لغتهم وحضارتهم أيما انتشار فكانوا صلة أمنية ، صلة خير وضياء بين العصور الخالية والقرون الحديثة ، ولما هبط الصليبيون الشرق عادوا إلى بلادهم يحملون بعض أنظمة العرب التي اطلعوا عليها في رحلتهم فاقتبسها الاوربيون وقدروها قدرها ، وعلى ذلك الاساس العربى المتين أقامت أوربا صروح مدنيتها الحديثة »

وفي موضع آخر من الكتاب تحت عنوان «لماذا تبقى العربية حية» من هو المنبه الى تكوين هذه المدنية القومية ؟

هو فتي كان بالامس يقصد الشام في عير قريش للتجارة وهو اليوم : محمد النبي العربي ورسول المسلمين

أما مصدر تلك الحضارة فهو القرآن .

لقد ذاع القرآن بسرعة لم يظفر بها كتاب قبله ولا بعده ولم يقصر انتشاره على الشعوب التي نزل بينها وتوافقت تعاليمه ومدركاتها وطبيعتها بل خضعت له بعدئذ أمم لها من حضارتها السحيقة ما قد كان يعد كافيا للتفلت من سطوته ، ورفض الاذعان لاحكامه

ولقد أوجد القرآن دينا عربيا ودولة عربية ، وأحكاما عربية وآدابا عربية صارت كلها أجزاء قومية واحدة ربطت شعوبا لم تكن العربية لغتها ، لذلك قال جماعة من المؤرخين : ان التمدن العربي كان تمدنا اسلاميا صرفا .

والقرآن مصدر جميع العلوم التي عنى بها المسلمون في أوج حضارتهم فلتفسير آياته وسوره وجدت علوم الكلام وعلوم المنطق ، ولتفهم ما فيه

من نظام وتشريع وجدت علوم الشرع والفقه ولم تكن غاية المؤرخين الاولين من العرب الا تحديد وقت نزوله ، وتدوين الاحاديث النبوية

ثم أليس الجغرافيون الأول أو علماء المسالك والامصار هم الذين مضوا من أقاصي افريقيا وآسيا لتأدية فريضة الحج ثم عادوا يصفون رحلتهم ومارأوه في البلادالبعيدة من الجديد غير المألوف ؟ ألم يكن غرض علماء اللغة ايضاح ماغمض من آى القرآن وتطبيق قواعد الصرف والنحو على نصوصه ؟ ألم تطلب ارصاد الفلكيين وعمليات الرياضيين لتحديد ساعات الصلاة وتوقيت مواعد الحج والصوم ؟ ألم تسترع مسائل الوقاية الصحية والنظافة اهتمام الاطباء كما ظلت بعدهم تحثهم على البحث والتنقيب ؟

نعم لم يهتم العرب في ذلك الدور بعلم من العلوم إلا لان آيات القرآن قضت بمعرفته لاجتلاء معنى غامض أو شرح قول مستغلق . »

***

هذا ماتقوله كاتبة مسيحية لم تزل فى سن الفتوة بعد، عن العرب وحضارتهم وعن الاسلام (والقرآن) وماقدمه الى العالم من المدنيات الحية ، وهى بهذا تزف الينا أمجاد العرب وأمجاد الاسلام كأول دين أسس في العالم حضارات أممية شمخت بها أنوف كثيرين من غير أبناء الاسلام . تزف الينا ذلك قبل أن يزفه أولئك الاشياخ ممن تصدوا لبيان مواهب الاسلام ومدنياته من هؤلاء الموجودين في عصرنا المنبثين فى الاصقاع الاسلامية بصفتهم اختصاصيين في معرفة الدين

صادف قبل أسبوعين أن اجتمعت في منزل صاحب السعادة محمد افندي نصيف بشيخ من شيوخ الدين يدعي انه من أحرار الافكار أيضاً فجاذبته البحث ووجهت اليه السؤالات الآتية : —

١ — كيف تقنع الخصم بدليل عقلي محسوس يثبت صحة الدين الاسلامي ؟

٢ — هل أضاف الاسلام الى العالم أفكاراً جديدة ، واذا كان فماهي تلك الافكار ؟

٣ — لماذا لم يكاتب النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة ملك الصين، وخاقان الترك وامبراطور روما الغربية الموجودين في عصره كما كاتب الحبشة والفرس والروم الشرقيين ؟

٤ — لماذا كان كل الانبياء أسيويين ولم يرو لنا التاريخ ظهور أنبياء في أوربا (أما امريكا وجزائر المحيط فلم تعمر الاحديثاً وفي أفريقيا أرسل بعض الانبياء كموسى وهرون ويوسف الخ)

وبعد تلكؤ وتسكع طويلين من حضرة الشيخ أفاض فيهما عن مكنونات ضميره الحر ! أجاب عن السؤال الاول بجواب مجمل وقد يكون فيه بعض الاقتناع ، وأجاب عن السؤال الثاني بجواب لايرضاه الفكر الحر ! . وعن السؤال الثالث بجواب لايرضاه التاريخ ، وعن السؤال الرابع بجواب لاأعطى تقريراً عنه ، وبالاجمال كانت إفادة الاستاذ تهويشاً وتخبطاً ، وبعد أن انتهى قلت له :

— ان هذه الاجوبة لاتقنع يامولاي !

فأجاب

ـ أنت حر :

وكذلك كان ، فكنت حراً . ثم قدمت الاسئلة الى عالم آخر وصل جدة بعد الحادثة بأيام وحين استفسرت هذا عن معنوية ذاك أجاب (انه يبالغ في حرية الفكر ولكن مع قلة الاطلاع)

لأدع بحث الدين ـ ولا رجع الى كتاب الآنسة مي (بين المد والجزر) فبعد أن قدمت للقارىء أفكارها عن العرب وحضارتهم القديمة وعن مدنية الاسلام ، سأقدم له شيئا من أفكارها في الادب والشعر والحضارة

ترى الكاتبة ان الشعر العربي يمكن تقسيمه من حيث الاسلوب كشقيقه الافرنجي الى أنواع ثلاثة كبرى :

الشعر الهندسي ـ وهو الذي يطلب من وراء الاوزان والمقاييس والعروض

الشعر التصويري ـ وهو شعر الوصف والقوة المؤثرة على الانفس

الشعر الرمزي ـ وهو مايفهم ان وراء جمود الظواهر وحركتها روحا نابضة

يفهم القارىء هذه الاقسام من كلام الكاتبة التي أجملتها اجمالا بدون توضيح كما نقلتها عن « فرديناند برونتير » أحد نقدة الادب الفرنسويين الذي قسم الآداب الفرنساوية في القرن السابع عشر كهذا التقسيم .

وفي مكان آخر من الكتاب نجد الكاتبة تقول عن نهضة الشرق العربي مانصه بالحرف :

«ان الحضارة العالمية الكبرى تنتقل من شعب الى شعب خلال

التدهور بحركة متموجة : تعلو موجتها فتتجلى مواهب تلك الامة وتأتي بأقصى مافي امكانها . ثم تهبط الموجة لتتكون من جديد عند شعب آخر بينما تتأثر بارتفاعها سائر الشعوب بدرجات متفاوتة .

«وكذلك الشرق العربي بعد إجهاد تسعة قرون أدى فيها خدما جليلة الى العالم ، وكان بازدهار مدنيته وانتشارها وصلة بين الماضى والحاضر — عاد فهجع ثلاثة قرون شأن من ينام بعد مجهود كبير ليسترد قواه ، وعند ما استيقظ وجد نفسه وقد أحاطت به أحوال جديدة تقتضي أساليب جديدة عند من يود مجاراة الآخرين حراً لا عبداً فنهض الشرق يطالب بكل ماتسوغه الحياة لبنيها النشيطين . ولئن بدت هذه الحركة مشلولة من جهة ، كفيفة من الجهة الاخرى تفتقر الى الدربة العامة والنظام والتنسيق فما هذا الاضطراب الا طبيعى يلازم الخطوات الاولى في جميع دوائر النشاط الانسانى ، وسيأتي الزمن والمران والاختبار ، بالحنكة المطلوبة ، والانتظام في مختلف الجوانب »

***

هذا شكل من أشكال فلسفة الآنسة مي في الحضارة الشرقية وهناك نظريات لها هامة فيما يلامس هذه المواضيع .

الحجاز بعد ٥٠٠ سنة

(فتاة في الثامنة عشرة من حياتهـا ، تشغل وظيفة رئيسة معمل للزجاج بجدة الجديدة ، تكتب لشقيقها ببلدة « الوئام » وهى تبعد عن مكة ١٦٠ كيلو متراً ــ الكتاب الآتى : ــ)

عزيزي مسعد !

أكتب لك هذا وقد مرت بى ذكرى أجدادنا الذين كانوا يعيشون في سنة ١٣٤٠ ــ ١٣٥٠ أعنى في منتصف القرن الرابع عشر الهجرى ، ذلك العصر المترامى في اكناف القدم السحيق ، اذكرهم حيث كانوا يبدأون تحاريرهم بالتحيات والاشواق ويفعمونها بالاسئلة والاستفسار عن خاطر المكتوب اليه ، ولهم العذر بهـذا لانهم كانوا يعيش الصديقان منهم مثلا أحدهما بجدة (أعنى القديمة) والآخر بمكة فلا يتراءيان حتى ولا في الاسبوع مرة واحـدة لان وسائل النقل كانت في عصرهم هي الحمير ، والجمال (حيوانات منقرضة كانت تعيش الى حوالى القرن الثامن عشر الهجرى) ثم عرفوا الاتومبيلات التي يستعملها الآن عمال المناجم الحجازية في ذهابهم وإيابهم . أما أتومبيلات هايز المكتشفة حديثا في القطب الشمالى ، فلم يكونوا يحلمون بأنهـا ستكون ، واخالهم لو بعثوا اليوم ورأوها تتألف من ست طبقات وتحمل من الركاب ما لا يقل عن ١٢٠ وتنساق بالكهرباء بدلا عن البنزين لهالهم الامر !

وعلى ذكر أجدادنا الاقدمين أقول لك الا تذكر يا أخي ! أن حضرة

جدنا الثالث لسيدنا ناصر الحقيقة : كان يحدثنا — عن جده السادس والثمانين الذى كان يعيش في القرن الرابع عشر باسم « محمد على جميل أبو خشبة » وكان يمتهن تطويف الحجاج بالبيت العتيق وكانت زوجته تتعاطى حرفة « قابلة » لانه لم يكن إذ ذاك طبيبات للنساء

دعنى من ذكر هؤلاء — فقد أكون معضتك بحديث معيشتهم المندثرة، لا أجدنى اليوم ذات فراغ كاف لأكتب لك شيئا من يومياتى فسأعهد الى شركة النشر الحجازية لتخاطبك بالتليفون اللاسلكى بما تريد من الاخبار . فثق

اليوم كنت في بلدة « العمل الجديد » بين المدينة ووادى صناعة الأوراق (كان قديما وادى الجوف) ومن هناك استأجرت الطيارة نمرة « ٦٥٠٠ » وركبتها الى حدود نجد الشرقية لحضور حفلة تكريم الشاب النابغة « احمد أفندى وداد » مخترع الآلة الحديثة التي ستشتهر باسم « آلة وداد العربية » لتصفية المزروعات وطحنها بأكمل سرعة والتي ستخدم وتريح الفلاح العربى، وحينما استكمل المحتفلون في الطابق السادس عشر من النزل الآنوسي الذى تمت هندسته بخبرة المهندس الحجازى القدير محمد مسعود الوثامي خريج مدرسة « دار الصناعات الحديثة » بالعاصمة. حينما استكمل الجمع نهضت الآنسة أمل الكاتبة الحجازية الشهيرة والقت المحاضرة الآتية : —

بالأمس يا سيداتى وسادتى ! كنا نحتفل بحضرة السيدة عادل مؤسسة المرصد الفلكي الحجازى « بجزيرة المعارف » التي كانت تدعى قديما

جزيرة أبي سعد . واليوم فلنقم تكريما لحضرة المحتفل به .... الذى صرف كمية لا يستهان بها من جهوده العقلية في إيجاد هذه الآلة النافعة ، وقد بلغنى أخيراً أن حكومتنا النشيطة الحرة (حكومة جمهورية بلاد العرب الكبرى) قد خاطبت نائب الجمهورية هنا بدفع مبلغ عشرين الف جنيه عربى لحضرة المخترع ، فنهنىء البلاد برجالها العاملين

وبعد انتهاء الحفلة جاءت طيارة البريد تحمل الي بطاقة من « جمعية الاتحاد السياسى » بالعاصمة تدعونى الى حضور حفلة « عيد توحيد الحكم ببلاد العرب » ففضلت ركوب القطار الكهربائي الجوي على ركوب الطيارات التى مللناها يوميا . وبعد ان انتهينا من ذلك عدت الي هنا حيث أكتب لك هذا التحرير ليدرك البريد الكهربائى ....

لا تنتظر منى — يا عزيزى ! — تفصيلات هامة عن هاتين الحفلتين فسيبدأ عمال استخراج الاوراق من الشجر بهذه العملية ليدفعوا بالاوراق الى « ادارة التحرير الرسمي العام» وتدفعها هذه بعد الانتهاء الى «المطبعة الحجازية الكبرى » لاصدار جريدة : « العصر الراقي » وستأتيك هذه حافلة بالموضوع وما عليك الا أن تتصفح صفحة ٤٦ في البحث المخصوص لهذه الاغراض

***

من أخبار جدة :

— حالة الجو هادئة جداً وقد استعملت آلة المهندس — الميكانيكي الحجازي « حسن عبد القدير » لتبريد الهواء ، وها نحن نتمتع الآن بنسيم

جميل بالرغم من كوننا في شهر أغسطس قلب الحر

ـ وردت اليوم الى ميناء « التقدم » بلدة شمالى جدة الباخرة « نفوذ » أكبر بواخر الجمهورية العربية وعليها ٥٠٠ر٥ أوربي مابين افرنسي وإيطالى، وانكليزي وأسبانى وسويسرى و ٥٠٠ر١٢ أمريكانى و ٥٠٠ر٣ هندي، وكلهم من السياح يقصدون النزهة كالمعتاد ـ في مدينة « الحياة الجميلة » التى هى اليوم المصطاف الوحيد لاعيان المثرين من كل الامم . وقد صحت معنوية الطائف التى لاتبعد عنها سوى ٢٠ كيلومتراً

ـ وعلى الباخرة أيضاً ٥٠٠ر٦ تلميذ من الخارج يقصدون الانتظام بسلك « جامعة الحقائق العربية » لتعلم اللغات الشرقية وعلوم الهيئة والفلك و ١٢٣٠ طالبا من جزائر الفيليبين لسماع المحاضرات الدينية التى سيقوم بالقائها في المسجد الحرام حضرة العلامة محمود باشا عبد المجيد رئيس البعثة التى سترسلها جمعية « نشر الدعوة الاسلامية » الى اليابان

ـ وستقوم الباخرة في اكتوبر (القادم) بعد أن تحمل ما ينوف على ٠٠٠ر٢٨٥ر١٦ طرد من الحاصلات الحجازية لتوزيعها على عموم موانيء البحر الاحمر الغربية

هذا وأتمنى لك حياة سعيدة ودم لشقيقتك المخلصة

ساعدة

فكرتي تسائلني

لماذا ـ لا يهتم الحجازي بانشاء بنته مهذبة الرأي مستنيرة بالعلوم

لماذا ـ تصرخ الامم الشرقية طالبة بناء قوميات أكيدة على أسس تاريخية صريحة ، يشجعها العلم الصحيح ، وأمتنا في الحجاز صامتة مكممة

لماذا ـ المدارس في البلاد الاخرى وافرة عديدة وفي بلادنا الحجازية المقدسة لا تكاد توازي أصابع اليد الواحدة

لماذا ـ لا نتعلم كيف نعيش

لماذا ـ لا نتعلم كيف نتعلم

لماذا ـ لا نتعلم كيف نقلد

لماذا ـ لا نتعلم كيف نتفاهم

لماذا ـ تخشى الوالدة على وحيدها من السفر الذى يرجع منه متعلما ممتـــــازاً

لماذا ـ لا تعتنى مدارسنا بتقرير « درس السياسة » في نظامها

لماذا ـ ينشأ الطفل الحجازي : ـ جبانا . ثرثاراً . خياليا . جاهلا . أنانيا بسيطا ؟.

لماذا ـ نهضم حقوق الغير من أبناء بلادنا

لماذا ـ نمتهن الوطنى ، ونسجد للاجنبى

لماذا ـ لا نفهم أنه ليس من الوطنية أن نتشدق بمدح عادات الوطن ، ونصرف النظر عن نقدها

لماذا ـ لا نفهم ان مرارة النقد أجمل من حلاوة الغش

لماذا ـ يلاحظ المربون دواماً ان التغافل سبيل الفساد ولا يلاحظون ان الضغط يولد الانفجار

لماذا ـ لا يسمح الفقهاء بارشاد العامة الا اذا أرشدهم «الاصفر الرنان»

لماذا ـ يصافح الرجل أخاه عقب الصلوات . فاذا تخطيا عتبة المسجد سلق كل منهما صاحبه بلسان حديد

من مشعل النار !

يوم أن زار مدرسة الفلاح أحد زعماء الهند الذي كانت هناك معرفة شخصية من السابق بيننا ، أخذ يباحثني فى الادب لان الرجل له اطلاع جيد فى الادب القديم ، وبالمناسبة سألته أنا عن « تاغور » شاعر الهند الكبير الحالي ، ورسول الحرية الادبية فيه (كما تقول عنه الآنسة مى)

ولم يكد الرجل يسمع ذكر تاغور حتى سألنى : هل يمكن أن نجد مثل هذا الرجل ؟

ومثلت معه دور الجهول . فقلت : أين ؟

قال : في الحجاز

***

هنا اعترانى الانكماش ، وكدت آسف ، بل أسفت فعلاً على الحجاز القفر ، وقلت ان المقدرة الالهية التي جردت الحجاز من آثار الطبيعة هل شاءت أيضاً أن تجرده من الرجال الممتازين ؟

الرجال الممتازين في السياسة

الرجال الممتازين في الادب

والرجال الممتازين في الوطنية

والرجال الممتازين في العلم

والرجال الممتازين في خدمة الحضارة

أواه ! لا أرى من هذه الاقسام ، ولا من قسم واحد منها فرداً

واحداً أنبتته تربة الحجاز الخصبة التي أنبتت سيدنا « محمد بن عبدالله » صلى الله عليه وسلم وأصحابه الامجاد

هل عرف العالم الحديث حجازيا ظهر في عالم الادب ؟

هل يعرف التاريخ الاخير حجازيا ظهر في عالم التفكير ؟

هل سمعت الامم الحديثة بحجازى خدم الحضارة الحجازية ؟

كلا . ومن كان مكابراً فليتفضل بتقديم فرد واحد !!!

اللهم هنا علماء دينيون ، وكلهم جامدون . هنا أدباء عصريون ولكنهم مقلدون :

العلماء ـ نفسى تشمئز حينما تقع عينى على واحدمنهم لانى كلما رأيتهم تذكرت كلمة ذلك الصوفي : « مافي الجبة الا الله »

الادباء ـ أهتز بهجة عند ما أرى هذه الحركة الفكرية القائمة الآن بين هذه النابتة ، ولكنها حركة غير منظمة تنقصها الاسباب الاولية لتنظيم سيرها حتي يمكن أن تكون منتجة في المستقبل:

١ ـ ينقصها رابطة فكرية متينة ناهضة تقوم بها الناشئة المتأدبة في الحجاز

٢ ـ ينقصها صحيفة سيارة تنقل الادب الحجازى الى العالم الخارجي لتطرحه بين أيدى النقدة الصادقين الاحرار .

اذا تم هذا فسينضج الادب الحجازى العام وسيكون له مستقبل ذو أثر فعال في نهضة البلاد الحقيقية ، لان كل نهضة سياسية في العالم ، وكل نهضة عمرانية أو صناعية أو علمية أو اجتماعية ، كان محركها الادب فالادب هو سبيل النهوض الامم العام

خاطر من الشعر

(مع الورقاء)

هذه القصيدة هي احدى المساجلات الادبية التي دارت بيني وبين الاديب عمر افندى عرب في سنة ١٣٤٢ وكان الغرض منها ترويج الاساليب العصرية فى الادب الحجازى . وكانت هذه أول دفعة قدمتها اليه فأرسل لمحاكاتها قصيدته « قلب المحب » مع رسالة جاء فيها « وأرجو مواصلة ذلك حتي نقطع حلقة الرهان فائزين » (عمر عرب)

المحرر

— ١ —

غانية الأيك سقاك السحابْ
نوحي معي قدر اقنى الانتحاب
وحركى المغرم في وجده
فالحب أضناهْ
ياشكوة العاشق ياذات (آه)
يا كهرباء الوجد واحسرتاه !
فؤادى العاني على وقده
شدوك أشجاه
بعيشك الغض بظل الأراك !
من ذا الذي بالرغم أضنى قواك ؟

أشادن قد جار فى صـــــده

قلبك يهواه

— ٢ —

فكري المعنى وفؤادى الكليم
لم يسمحا لي بأنيق النظيم
ان أرهف الاقلام في نضده
أو وحي معناه

لم يسمحا لى ببكاء الحبيب
وذرف دمع ساخن أو نحيب
في رشأ يشتط في بعـــــده
أندب لقياه

لم يسمحا بالشعر لى فى الغرام
بل أرغمانى نفض هذا المنام
لطائر أسهر في صيده
وحين ألقاه

وحين ألقاه لكفى قريب
أقول يا طائر هلا تجيب
معـــــذباً أكثر في سهده
« آه وأواه »

— ٣ —

ياطـائر الشعر ألا موطنى
يرسف في الآلام ممـا عنى
أبناؤه تخرب في مجده
ما كان أشقاه !

ياوطنى ياوطن الخالدين !
ويا أبًا عق بأيدى البنـين
وأيها الهاوى الى لحده
في ذمة الله !

الامة الافرنسية

« درس وطنى »(١)

لا أقصد هنا أن أؤرخ فرنسا وانما أردت رسم صورة مصغرة من بطولة الامم الناهضة لاصفها أمام زملائى النابهين، وكان هذا من واجب الجغرافيا فى المدارس ، ولكن تعليم الجغرافيا في مدارسنا عقيم ومقصر

ظهرت هذه الأمة على مسرح الحياة العالمية الراقية من ابان حرب الغاليين (الفرنسويين القدام) مع قواد روما فى عهد الرومانيين ، وكان الغاليون قد اشتهروا بالبسالة والحركة ، والنشاط ، والعمل والذكاء ، والاجتهاد والحرية ، والاستقلال ، فعرفوا باسم « فرانك » ومعناه الاحرار ، ثم توسع الناس فى هذا الاسم وأطلقوه على كل الاوربيين ، وأخذه العرب ونطقوه « فرنج » أو « فرنجة » كالمتداول الآن ، ثم تحرف قليلا من الكاف الى السين فصار « فرانس » وهو اسم لفرانسا اليوم

---

(١) لم أكن راضياً عن الكاتب في هذا المقال الذي يضرب فيه المثل للامم الناهضة من التاريخ الافرنسي وطلبت منه اغفاله فلم يقبل وله رأيه

ولعمري ان فى تاريخ العرب أمة ناهضة أمة مجيدة اذا نحن اقتدينا به وسرنا على ما يحدثنا عنه من أعمال السلف لكنا اليوم على غير ما نحن عليه

أما الشعب الافرنسي فاني أمقته لاجل سوريا وانكر عليه مجده لاجل سوريا وأعده من أنذل الامم من أجل سوريا

أليس من العدل أن نحتقر الشعب الذي يحتكر الحرية لنفسه ويستعبد باسمها الناس

اللهم ان المدنية مدنية القرن العشرين ليست الا همجية بكل معاني الكلمة

أشهر من عرف من ملوك فرانسا الاقدمين «مروفيوس» مؤسس الدولة : الميروفنجية، وأشهر ملوك هذه الدولة «كلوفيس» الاول المتوفى سنة ٤٨١ م وهو في سن العشرين، وقد حارب الرومان والالمان وأجهز على أطراف فرنسا فحاز انتصارات باهرة وجعل باريس قاعدة المملكة وكانت تدعى «لوكتيس» ثم أعتنق هذا الملك الدين المسيحي من : برنسيس (أميرة) بورغونية تزوج بها فتنصر الافرنسيون كلهم تبعاً لمليكهم الذى مات سنة ٥١١ م

انتقلت سلطة كلوفيس الى أبنائه ثم ضعف أمرهم وتلاشى فتغلب على المملكة رئيس البلاط الملكي الافرنسى وكان يدعى « بين ارشال » ومن نسله جاء القائد الافرنسي الشهير — « شارل مارتل » الذى حارب العرب ورد صدماتهم حينما أرادوا الزحف على فرنسا بقيادة البطل العظيم « طارق بن زياد » في عهد «الوليد الاموى» سنة ٧٣٢ م فانتصر عليهم، ويقول المؤرخون عن انتصاره هذا انه « يعد من أعظم الحوادث التاريخية لانه غير تاريخ أوربا، وأبقى الغرب للغربيين بدل أن يستولى عليه العرب — « أدوار الياس»

* * *

ثم ظهر في سنة ١٢٧٠ فيليب الثالث أحد ملوك فرنسا فصرف همته الى الرقى، فتقدمت البلاد في أيامه شوطا واسعاً الى سنة ١٢٨٤ ثم أصيب مذ هذا التقدم بحزر حدثت في خلاله أعظم حرب وقعت في أوربا وهي المعروفة بحروب المائة سنة، نشبت بين فرانسا وانكلترا التي كان

يتولى أمرها في ذلك الوقت هنرى الخامس أعظم ملوك الانكليز مهارة في الحروب ، بينما صادف أن كان يتولى ملك فرنسا شارل السادس ، وهو من أضعف الملوك رأيا إذ ذاك ، فغلب أخيراً وانتصر الانكليز سنة ١٤٢٥ وأخذوا بعض أطراف فرانسا

* * *

ولكن الافرنسيين : هل أغمضوا أعينهم على القذى. هل سكتوا عن المطالبة بحقهم المغصوب . هل ناموا على فرش وثير من الراحة والاستكانة ؟؟ كلا . شحذ الافرنسيون عزائمهم البتارة ، واضاءوا كهرباء أفكارهم الجبارة الحرة المدققة وقاموا . نعم قاموا كليوث الغاب من كل حدب وصوب وأشعلوا نار حرب كان وقودها الجثث والهام ساعين الى العظمة والحرية والاستقلال فتم لهم النصر في سنة ١٤٥٠ على يد فتاة عذراء كانت في الثامنة عشرة من سنى حياتها تدعى « جان دارك » أظهرت أنها خوطبت من الارواح العلوية بطرد الانكليز عن أطراف بلادها وطلبت من الملك والأمراء اعطاءها جيشاً تقوده هى فسلمت القيادة وحاربت الانكليز . وفي إحدى الوقائع عثر بها الجواد فأسرت ثم أحرقت بالنار — ولكن الانكليز لم يستفيدوا شيئاً من احراقها لان انتصارها أعاد لاطراف فرنسا حريتها واستقلالها وقد قدس الافرنسيون هذه الفتاة فنصبوا لها التماثيل العديدة أمام قصر التولسرى في باريس وبمدينة ريمس تمثال يمثلها على جوادها وبيدها سيف النقمة — وتماثيل أخرى في أطراف فرنسا . وقد حازت هذه الفتاة الباسلة شهرة طائلة في التاريخ

هكذا كانت الامة الافرنسية : أمة حركة ، واقدام، أمة فكر وعمل أمة نشاط وحزم أمة حرية واستقلال ....

واليك صفحة من تاريخ النهضة الافرنسية أو «الثورة الافرنسية» الكبرى الشهيرة فى التاريخ ، وفي الأدب وفي السياسة . وهى الثورة التي علمت الشعوب الاوربية جمعاء كيف تنهض الامم لحريتها واستقلالها على أسس سياسية خاصة لا تستطيع استخدامها الا كل أمة متربية حية !!

* * *

في عام ١٧٨٩ ثار ثائر الافرنسيين على مليكهم المستبد « لويس السادس عشر » الذى كان مثال « الاستقراطية » فارادوا خلعه واستبدال حكومة جمهورية حرة بحكومة الامبراطورية المطلقة ، وحينما علم لويس السادس عشر بعزيمة الشعب الثائر أراد الفرار الى النمسا للاحتماء بصهره ملكها وليقيم قيامة الدول الاستوقراطية على فرنسا الحرة الناهضة ولكن الافرنسيين بمجرد ان علموا بعزم الملك قبضوا عليه في يوم مشهود واسقطوا رأسه مع زوجته « ماري انطوانيت » في إحدى ساحات باريس وهى المسماة عندهم بساحة « الكونكورد » (الوفاق) ثم نصبوا المقاصل لاسقاط كل رأس يختمر فيه الاستبداد والطمع

وعلى أثر ذلك أقاموا الجمهورية الافرنسية الاولى بيدانها لم تثبت كثيراً حتى سعي بذكاء ودهاء عجيبين أحد أفراد الشعب « نابليون بونابرت » فتوصل الى منصب سام، فأسمى فأكبر سموا ثم قلب الجمهورية الى امبراطورية عظيمة يحكمها فرد متمرد جبار

وفي سنة ١٨٤٨ ظنت فرنسا انها تخلصت من نير الامبراطورية بموت (نابليون) فأسست جمهوريتها الثانية ، ولكن نابليون الثالث أعاد عهد سلفه وارجع الامبراطورية

وفي عام ١٨٧١ نشبت حرب السبعين الشهيرة في التاريخ بين فرنسا والمانيا وكانت نتيجتها أن اسقط الافرنسيون نابليون الثالث وهو آخر ملوك الامبراطورية الافرنسية، وأسسوا الجمهورية الثالثة وأول رؤسائها مسيو (تبيرس) وها قد مضي عليها الى الآن خمسة وخمسون عاماً تولى في أثنائها نحو ١٥ رئيس من الطبقة الممتازة من أفراد الشعب المتعلم المتنور الناهض النشيط . ورئيس الجمهورية الحالى هو المسيو «دوميريج»

الخليج العربي

أنا الآن في الساعة الخامسة ليلا ، وقد مضى ربعها ، وهي الساعة الثانية من الساعات التي اعتدت فيها الكتابة والتفكير ، إن كان ماينتج عن ألفاظي وعباراتي المتبعثرة على ثنايا الاوراق يصح أن يدعى نتيجة كتابة وتفكير .

نعم أنا الآن في النصف الأول من الساعة الخامسة بالحساب العربي ، قلمي معلق بين أصابعي ، والصفحة أمامي ملقاة على الدرج ، وفكري جائل في أثير دماغي يطلب موضوعاً أدبياً ، أو سياسياً ، أو وطنياً ، وفي الحقيقة يطلب لاشيء ، او لا يطلب شيئا ، ان كان هناك فرق بين التعبيرين عند أساتذة المنطق ، وفلاسفة التعبير ، وبياطرة الانشاء .

أنا لاأريد أن أمزق الوقت هباء ، فلن أحملك أيها القاريء العزيز عبء انتظار الموضوع أكثر من هذا . ولكن صاحبي يارفيقي في قراءة المقالة الى آخرها وأنت تحمل في قحف رأسك فكراً حراً ولو الى حد محسوس من الحرية ، وهي الغاية التي وصلنا اليها في حجازنا الشهيد ، خالعا عن دماغك ميولك العقلية القديمة كما تخلع نعليك عند ماتدخل المسجد للصلاة .

سر معي لحظات أيها الرفيق !

كأني بك وقد وقع لحظك على عنوان المقالة تسائل نفسك عما اذا

كنت ستقرأ هنا بحثا جغرافيا ، أو تاريخيا عن الخليج العربى ، وأين هو ؟ ومم يتكوّن ؟ ولكنك قبل ذاك سترجع الى معلوماتك في الجغرافيا فتنكر وجود خليج بهذا الاسم ، لانك قرأت الاقسام الطبيعية للقارات — على ما أظن — وعرفت كل خلجان الارض — أو أشهرها — فلم تر بينها هذا الخليج :

كانت العربية لغة واسعة الاطراف ، وكانت الامة العربية أمة واسعة الذهنية ، فكان هناك الحضارة العربية ، والعمران العربى ، والملك العربى ، والافكار العربية ، والعلوم العربية ، والآداب العربية . وقد أخذت السعة منهم كل مأخذ . وبعبارة أخرى كان هناك البحر العربى ، تزخر أمواجه بتلك الاعتبارات الآنفة .

هذه خطوة الى الفهم .

تلاشت تلك الحضارة ، وتداعى ذلك العمران ، وتحلل ذلك الملك ، واندمجت تلك الافكار ، ودرست هاتيك العلوم ، وانمحت تلك الآداب وبعبارة أخرى غاض ذلك البحر ، فلم يبق الآن سوى ـ الخليج العربى هاقد انحلت المسألة للفهم . ولا مض في الحل :

يتكون الخليج العربى من أمة عربية لها بعض البعض مما كان من تلك الامجاد الواسعة السامية ، شيد على انقاضها فصار خليجا بالنسبة لذلك البحر العباب .

لست بمؤرخ ، ياسيدي القارىء ، لأجهد لك فكرتى الصغيرة في كتابة قطعة من التاريخ أصور فيها أمامك كيف كانت للأمة العربية

تلك الاتساعات في العمران والحضارة والآداب الخ ، ولكني أستطيع ان اكون تاريخيا ـ او شبه تاريخي ـ أتجاذب معك طرف الحديث عن العرب . وهناك فرق بين التاريخي والمؤرخ لاظنه يغمض عليك .

لست بحاجة ان اقول لك طالع ـ اذا اردت ـ كتب التاريخ عن العرب لتتأكد صحة ما ادعيه هنا ، فأراك مستغنياً عن تذكيري ، ولكني الفت نظرك الى هذه الامة كيف شالت كفتها في ميزان الحياة علميا وسياسيا وادبيا وعمرانيا في عصورها المتأخرة ، عكس ما كانت تلك الكفة قبل اربعة احقاب من الزمان .

اغبياء اولئك الذين يحاولون تصوير الامة العربية بأقلامهم كأمة عالية الكعب في شؤون الحياة ، واغبى منهم اولئك الذين ينشدون من الجو الاجوف اكليل غار يضفرونه للرؤس العربية تهليلا بالانتصار العربي في ميادين الحياة .

يقول كاتب كبير من كتاب مصر ـ لااتذكره الآن اولاأذكره . لافرق ـ ان سبب تأخر العرب فى ميادين الحياة هو بالاكثر ضغط الاوربيين على مواهبهم ضغطا طبيعيا كان اثراً من آثار استعمار هؤلاء لبعض بلادهم . وانها لفكرة سُبق اليها الكاتب من مؤرخي العرب الاقدمين . فقد كتب حكيم المؤرخين ابن خلدون فى مقدمته مامعناه : ان الامم التي تقهر عادة من غيرها وتغلب على امرها في بلادها تكون غالبا قليلة النسل . وقد صدق ابن خلدون . وارى ان ذلك الكاتب اخذ فكرته تلك من فكرة ابن خلدون هذه ، فاستنتج ان الامة المقهورة من

غيرها ، المغلوبة على امرها فى بلادها تكون عادة خامدة المواهب ، وتنطمس جهودها العقلية ، فلا يمكنها السبق في ميادين الحياة . وهكذا العرب .

وانى أوافق الكاتب المصرى في النظرية ، وأخالفه فى المثال وان كنت دونه فكراً وأدباً واطلاعاً واستنتاجاً ومعرفة

العرب لا يمكن أن نقول عنهم انهم فقدوا مواهبهم — ولما يفقدوها — لهذا السبب ، فنتج من هذا فقدان حضارتهم الواسعة وماليها . كلا .

كان العرب ناهضين والسيف التركي على رؤوسهم ، وهذا جمال السفاح (جمال باشا) كان ينصب المشانق في سوريا وأحرار العرب يسعون بملء جهودهم في باريس وغيرها لتكوين رابطة عربية متينة . وهذا مثال قريب .

نعم يكفى هذا لنفهم ان العرب لم تكن بتلك الأمة التى تتلاشى جهودها الفكرية فردية كانت أو اجتماعية ، ولم تكن لتذوب أمام ضاغط كهذا ، والا كانت غير منتجة كلمة البارون لاريه حيث يقول : « الاصل العربى أكمل الاصول وأعلاها مجداً بما يرى من كمال تركيب دماغه وذكائه وإقدامه وحركته » . ولهذه الكلمة مكانها الكبير من الحقيقة . وتؤيدها المشاهدات .

اذن فهناك داع آخر اوصل العرب الى هذه الاستكانة وخمول العزم ، ليس — فيما أرى — هو داعي الضغط الاستعماري من دول اوروبا المتسيطرة

العراق اليوم ، وهو القطر العربى الواسع ، واقف في صفوف الامم الناهضة الطالبة مكانها تحت الشمس ، عامل دائب في تكوين حياته السياسية التي لاحت بوادر تمامها ولاح على أثرها نهوض لتكوين حياة أدبية وعلمية راقية . يصنع العراق ذلك بينما نير الاحتلال ـ او الانتداب ـ الانكليزى فوق عنقه لا يتخطاه .

وسوريا ، اخت العراق عروبة ، لم ينضب معين الفكر الادبى ـ دع السياسى ـ من أدمغة أفرادها الذين لا يزالون يدأبون في رفع حياة الامة العربية ادبياً ـ ولا استشهد بثورة الدروز ـ بينما أخطار السيف الفرنسوى تحدق بسوريا والسوريين ،

وهذه مصر المستعربة ، بنت الفراعنة ووارثة لغة العرب ، نظرة اليها بطرف اللحظ في حالتها قبل خمس سنوات تكفى لاثبات النظرية هذه لمحة من قبس ، وبصيص من نار النهوض المنشود وهو موجة أو موجات من تلك التي تكون ذلك الخليج العربى

ولكن أين ؟ أين ما ننشده ونتوخاه في العرب ؟

الجزيرة على أتمها ـ ليس فيها العراق وسوريا ـ خالية من آثار تلك الحضارة ، ومن مقدمات تلك الحضارة ، ومن أسباب تلك الحضارة

فهل يروقك الحجاز ونجد والعسير واليمن ؟

لماذا لم تأخذ هذه الاقطار حظها من الخليج العربى الممتد على شواطئها ، الفياض بأمواجه هناك ؟

ذلك بالاكثر هو موضوعى ، وهو ما كتبت لافحصه ، كلمات هذا المقال .

ولكن . تراودنى نفسى أن أقذف بالقلم جانباً وأدع المقالة بتراء فقد أمضني البحث ـ بحث العرب ـ وقد أزف وقت المنام .

ها . هاءنا أسمع جرس الساعة يدق إيذانا بانقضاء النصف الاوسط من الساعة الخامسة ، وهاءنا بين إقدام وإحجام . ولماذا ؟ . لأنى اعرف تماما ان في اتمام المقالة سيكون شذوذ ـ على مايسميه البعض ـ وبعض انحراف عن دائرة المألوف من سيرورة الرأى العام في هذا الموضوع

ولكن حسبي ان اقتضب وألمح لأخرج من هذا المأزق الحرج ظافراً إن شاء الله ،

الأثرة والانانية صفات او صفة سائدة في كثير من افراد الامم . ومن المستحيل أن يبرأ منها كل الافراد في أية أمة كانت من أمم الارض ولكنى لم أر الاثرة سائدة فى امة بمجموعها سيادتها فى الامة العربيـة .

وهذا اساس قوى من أسس انصياعها لتراخي العزيمة وتخدير الهمة الفكرية أو الجهد الذهني في طلب الحضارة والتقدم علميا وادبيا ومدنيا .

* * *

هذا مايمكننى ـ ككاتب حجازى ـ أن أرسمه عن العرب المضمحلين ادبيا فى حاضرهم ، وانها لعمر الحقيقة نأمة لم تكن بالمعهودة في حياة الادب الحجازى ، تدور على محور الحرية الفكرية والصراحة فى التعبير . أجل . ومالنا نسرف في تقديس امة العرب ، وماهى الا نحن ، ومانحن

إلا إياها ؟؟ فاذا لم نتكلم عن انفسنا بملء الصدق فلاريب ان نظهر كحثالة امام الامم العاقلة .

ولعلى لا اكون غير محق اذا ذكرت قارئي العزيز بما قدمت له في مطلع المقالة من ذلك الشرط وهو ان يمضى فى قراءتها وهو يحمل فى قحف رأسه الكريم فكراً حراً ولو الى حد محسوس من الحرية، وهي الغاية التي وصلنا اليها في حجازنا الشهيد ، خالعا عن دماغه ميوله العقلية القديمة كما يخلع نعله عند مايدخل المسجد للصلاة

نعم . ولم لا نكتب بحرية ، ونفكر بحرية ، فنمشي الخطوة الاولى في سبيل تحطيم هيكل الجبن الادبى من نفوسنا ؟ ولعمر الحقيقة انه لجاروف هائل يجرف من حرية أفكارنا مانحن محتاجون اليه فى كل ساعة من ساعات حياتنا ، وعلى الاقل فى ساعات البحث والمفاهمة .

من سلسلة أفكاري

« أو المراسلات »

ـ نريد رجالا يفهمون معنى الحياة الحجازية كما هي فيسيرون بالحجاز حسب نواميسها (الحياة) فذلك أنفع لنا من مدافع وقلل !

ـ يجب ألا يكون تطرف ولا جمود ولا تمرد ولا تفرنج ولكن حرية عصرية تحارب الوهم وتسعى الى الحقائق

ـ هل يأتي على الحجاز — يا تري ! — يوم يحس فيه بأنه عضو ، رئيس حي في شبه جزيرة العرب ؟

ـ اذا كان الشيوخ (أعني المتعلمين) الرءوس المفكرة والشباب الايدى العاملة فهنالك تكون الامة كائناً حياً صالحاً للتقدم

ـ لا تفلح أمة يكثر فيها أرباب الطرق الذكرية

ـ مما انتجته تجاربي (الصغيرة) أن لا فرق بين الدرويش والشيطان فكم كنت أغترُّ بهؤلاء الدراويش ، وبالاحرى هؤلاء اللصوص ، واعتقد انهم خيرة الله في خلقه حتي هدتني التجارب الي عكس ما كنت أظن

ـ يجب أن نتعلم من الحوادث ، فكم كنا نقدس ونجلّ من نراه مجيباً معمما ممتطياً للجياد بدون تفريق فرأينا منه مايسيء الأمة ويخجل الوطن !

ـ الجمود في الفكر كالتطرف فيه ، كلاهما داء عضال بعقلية الانسان فليكن الانسان حراً مفكراً ولكن ليكن قبل ذلك عاقلا بصيراً ، فالحق دائما بين التفريط والافراط

ـ نواب الامة هم قوادها العموميون فلينظر هؤلاء الى أين يقودونها

ـ الشعب الناهض هو الذى يبني العروش

ـ كم جلبت لنا من المصائب تلك العمائم المشادة فوق الرءوس

ـ لا نجاح لأمة إلاّ بالاتحاد

ـ لا يجنى الوهم سوى الضياع

ـ العقل فوق الاحساس

ـ من أشرف سمات النبل صراحة الوجدان

ـ ملاك الكتابة عقل مفكر، وقلم حر، وعاطفة شريفة

ـ ان البلاد برجالها المفكرين الذين يقضون حياتهم في الجهاد النافع

ـ الصبر على معاناة الداء ينتج الشقاء من ألم الادواء

ـ الحب قائد حربى طائش، سيوفه الالحاظ، وسهامه العيون، وخصومه القلوب

ـ العمل أساس الغنى والوسيلة الوحيدة الى النجاح، والمؤدى الى أسمى غاية ممتازة في الحياة

ـ المجد الحقيقي والشرف الخالد لا يمكن نواله الاّ بالاعتماد على النفس.

ـ أحسن وسيلة لتربية العقل هى التفكير بحرية وعدم قبول الاشياء على علاتها.

ـ يتوهم البعض ان للطبيعة قوة تكافح بها الوجدان ولا أرى الانسان الا نهب الطوارىء، آلة بيد الاحداث تتلاعب بشعوره وميوله كما

يتلاعب الصبي بالكرة كيفما أراد

ـ ان من أبين الادلة على سوء أدب المرء أن تراه ثرثاراً يتكلم في كل محفل ويخطب في كل ناد

ـ ان للخطابة موقفاً رهيباً لا يتجشمه الا حاضر الفكر سريع الخاطر ومسلكاً وعراً لا يقدم عليه الا شجاع القلب قوى الجنان

ـ ان اشتهار الرجل (أو المرأة) بأعماله ومزاياه أفضل من تعجله الشهرة الكاذبة بما يتزلف به من الملق لدى وجهاء الرجال

ـ الحر العصري هو الذى لا تروج عنده السخافات ولا يعتقد بالترهات ، ولا يجنح للخزعبلات ، هو الذي يدرس حياة الابطال والمخترعين، والمكتشفين ، والكتاب ، والشعراء ، والسياسيين والزعماء ، وذوي الشخصيات البارزة والفاتحين وقواد الآراء العامة والناهضين بالأمم وجبابرة العروش ، ليكون في نفسه عظمة وعلاء يعلمانه المجد والطموح .

ـ الامم الحية التى يمكنها أن تكوّن ملوكاً ووزراء ، وليس الملوك والوزراء هم الذين يكوّنون الامم

ـ خلق الدين ليسدد خطوات الانسان ويقوده الى طريق الحقيقة والمدنية الصحيحة ، خلق ليقضي على الجمود وليضع حداً للتعصب العنصرى ، والغشاوة الفكرية ، وينهض العقل من مبارك كان معتقلا فيها فلا يجب أن نشوه سمعته فنفهم أن وظيفته هى أن يعلمنا الصوم والصلاة والاعتكاف فحسب

ـ بحث المسيحيون في ديانتهم فوجدوا قوانينها لا تلائم حاجات العصر الحاضر ، فدرسوا قوانين الاسلام فوجدوا ضالتهم المنشودة فاقتبسوا من تعاليمه فساروا الى الامام : فهل من الموافق المقبول أننا لا نعرف نحن المسلمين كيف ننتفع بتلك التعاليم الحقيقية التي هي روح الدين . مصيبتا في ذلك علماء الدين الذين يفهموننا قشور الدين دون لبابه حفظا على مراكزهم ؟!

ـ يجب أن نكون — نحن ناشئة البلاد — عصريين . عصريين في السننا ، في أقلامنا ، في تفكيرنا ، في دفاعنا ولكن ألاّ نتفرنج ولا نشط ولا نزرى بكل قديم

ـ ليس برجل من لا يحتمل فى دماغه فكرة الجبروت وفي لسانه صاعقة الصراحة

ـ لنهتم بنهضة العقل ، فهي الخطوة الاولى في نهضات الامم

ـ أفكار متحجرة ، فوقها عمائم مكبرة ، وتحتها ذقون مبعثرة ، تلك هي كابوس الامم وسموم الحياة

ـ من بلادة علماء الدين : الا يعتبروا الامام محمد عبده المصرى من أكبر الرجال الذين خدموا الاسلام خدمة لم يعرف التاريخ مثلها في مصر

ـ أرى من بين أسباب تأخر شعبنا الحجازي في مواد الارتقاء هو ذلك الوهم من لباب شبابه النابتين

ـ ويلاه ! كادت ان تصم اسماعنا من قبح تراكيب الخطب الجمعية وسماجة معانيها المتكررة . فهل لنا بخطيب مصقع يضع الدواء موضع الداء

ـ العظمة في نفس الرجل الحر أشبه الاشياء في قرص الشمس يلتهب التهابا، فكما لا تنفع الشمس بلا ضياء كذلك لا معنى لحياة الرجال بدون العظمة والجلال

ـ تقدم الحجاز يتحقق اذا توفر فيه الرجال المفكرون من أبنائه الاحياء الذين هو أحوج اليهم من الرجال الماليين ، وتضافر على العمل لرفعه بالاخلاص كل من الفتي والفتاة وهناك يظهر الرقى الحجازى المنشود على أسماه

ـ طبيعي لرقينا أن نكون وطنيين، همنا الاكبر منفعة الوطن الخاص ولا نلتف الى قول أحد الكتبة (برناردشو الافرنسي) : يجب أن تضاف الوطنية الى سائر الخرافات القديمة ، فان وطننا جميعاً الآن هو العالم لاننا لم نصل بعد الى هذه الدرجة ، فمثل هذه الفكرة تروج في أوربا ولكنها لا تصلح لبلاد العرب

ـ بطرف من الفلسفة ، وقبس من التاريخ ، ومزيج من السياسة والعمران ، ولمحة من العواطف، وتيار هائل من التفكير ، يتكوّن الادب العصرى الصحيح .

ـ اقلاق راحة المعاند ، واحراج موقف الخصم ، واسقاط ركن المزاحم ، واعلان تفوق الذات ، تلك هي المبادىء الاساسية يعمل لها عادة عظماء الرجال .

ـ من أسباب النجاح في هذا العصر أن يكون المرء قوة نافذة المفعول

ـ كن ماديا يستخدم المادة ينتفع بها لا ماديا يعدها ويستنشق بألفاظها

ـ الطف لقب يحوزه الناقد الحرّ في هذه البلاد كلمة (فرمسوني)

ـ الانانية وحب النفس من اكبر الاسباب التي تضيع ماهية الانسان

ـ من كان همه فقط أن يقول، كان جزاؤه فقط أن يقبر

ـ الرجل الميت هو الذي لا يستطيع التكلم أمام الجمهور

ـ النفس العظيمة الحية تظهر صورتها في قوالب من مختلفة الاعمال

ـ الحرية ليست خبزاً يؤكل ، ولكنها مجد دونه خرط القتاد

ـ سلوا اليراع يا أدباء الحجاز !

ـ كن عاقلا قبل أن تكون وطنياً

ـ تعليم المرأة سنة مدنية يجب ألاّ يهملها الشرقيون

ـ يجب أن نتعلم « الميكانيكا »في عقولنا قبل أن نتعلمها في الآلات

ـ إنما يؤتى على الامم غالباً من عدم تقديرها لاعمال الافراد

ـ اذا شاء الحجاز أن يقلد أمة عظيمة فليقلدها أولا في الاخلاق

ـ العرب عنصر كهربائي الطبع يسري في آخر أجزائه ما يلامس أولها

فهرست

صفحة		صفحة	
٥	المقـدمة	٥٠	اللغة العصرية
١٦	تتويج الكتاب	٥٥	تحليل ولي الدين
١٧	من نافذة الخيال	٥٧	الشرق الاقصى
١٨	مداعبة مع العلماء	٦٠	الزواج الاجباري
٢٢	البلاغه العربية	٦٢	تربية أفرنجية
٢٦	أيها المتشاعرون	٦٥	بين الجزر والمد
٢٩	أمة مهملة	٧١	الحجاز بعد ٥٠٠ سنة
٣٥	كيف تكونين	٧٥	فكرتي تسائلني
٣٨	فلسفة الحياة العصرية	٧٧	من مشعل النار
٣٩	ابن الحجاز	٧٩	خاطر من الشعر
٤٢	الأدب في الحجاز	٨٢	الأمة الافرنسية
٤٤	حاجتنا الى اللغة الاجنبية	٨٧	الخليج العربي
٤٦	بريشة الفن	٩٤	من سلسلة أفكاري
٤٨	في آذان المتمرئسين		

DATE DUE

A. U. B. LIBRARY
عواد، محمد حسن
خواطر مصرحة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01038254

892.74
A967kA
v.1